الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: نقد أدبي حديث ومعاصر

الموضوع:

فن الخاطرة في أدب الرافعي

إعداد الطالبتين :
بوداود سمية
سعداوي منية

إشراف:
أ د/ فارسي حسين

لجنة المناقشة		
أ.د بن اعمر محمد	جامعة تلمسان	رئيسا
بن عزوز حليمة	جامعة تلمسان	ممتحنا
أ. د/ فارسي حسين	جامعة تلمسان	مشرفا مقررا

العام الجامعي : 1441 - 1442 هـ / 2020 - 2021 م

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

إهداء

إلى من سعى وشقى وضحى بالنفس والنفيس لأنعم بالراحة والهناء، الذي لم يبخل بشيء من أجل دفعي إلى طريق النجاح وسلم الحياة بحكمة وصبر أبي ملهمي وقدوتي ومثالي الرائع في الحياة إلى الينبوع الذي لا يمل العطاء، إلى من حاكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبها

إلى أمي العزيزة "مفتاح حجرية "

وإلى أختي الحبيبة "نسرين" و كل الذين وقفوا معي .

دون أن أنسى الأستاذ "فارسي عبد الرحمن" على صبره وجهده طوال إنجاز هاته المذكرة.

وأهدي إلى كل أساتذتي الذين تعبوا معنا .

أهدى لكم جميعا هذا العمل المتواضع .

إهداء

أحمد الله العلي القدر على عونه وتوفيقي لإتمام هذا البحث

إلى الذي وهبني كل ما يملك إلى من كان ولا يزال يدفعني لأحقق مبتغاي وطموحاتي، أبي الغالي أطال الله في عمره.

إلى رمز العطاء والحنان، التي كانت سندي في الشدائد، تتبعني خطوة بخطوة في دراستي، أمي أعز ملاك على القلب والعين جزاها الله عني خير جزاء.

وإلى إخوتي عمر وعلاء الدين قويلرش وأخواتي الذين وقفوا معي .

دون أن أنسى الأستاذ "فارسي عبد الرحمن" على صبره وجهده طوال إنجاز هاته المذكرة.

وأهدي إلى كل أساتذتي الذين تعبوا معنا .

إلى كل هؤلاء أهدي العمل .

شكر وعرفان:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

"لاَ يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ" .

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بعد شكر المولى سبحانه وتعالى على توفيقه لنا لإتمام هذا البحث، أتوجه بالشكر الجزيل إلى من شرفني بإشرافه على مذكرة بحثي الأستاذ الدكتور **فارسي حسين** لصبره علي وتوجيهاته العلمية التي لا تقدر بثمن.

وإلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد على إتمام البحث.

وصلى الله على النبي المختار وعلى آله وصحبه الأبرار .

المقدمة

المقدمة :

الحمد الله الواحد المعبود، عم بحكمته الوجود، وشملت رحمته كل موجود، أحمده سبحانه وأشكره، وهو بكل لسان محمود، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الغفور الودود، وعد من أطاعه بالعزة والخلود، وتوعد من عصاه بالنار ذات الوقود، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، صاحب المقام المحمود، واللواء المعقود، والحوض المورود، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، الركع السجود، والتابعين ومن تبعهم من المؤمنين الشهود، وبعد: من المعروف أن مقالات مصطفى صادق الرافعي تعد من أهم معجزات الرافعي على صعيد الفكر والفن، فقد كان يحتشد لها احتشاداً ظاهراً، كما كتبها بعد أن استحصدت أدواته الفنية،

موضوع الدراسة وأهميتها

هذه الدراسة – بحمد الله وفضله – تهدف إلى موضوع غاية في الأهمية، وهو موضوع فن الخاطرة في أدب الرافعي، والحقيقة أن هذا الموضوع – وإن تناوله الباحثون من قبل – يظل هاماً جداً لأن لأدب الرافعي خصوصيته؛ وذلك لأنه أديب متميز، جمع بين أنواع مختلفة من الأدب، فكتب الشعر، وشيئاً من القصة، وإن كان قد اشتهر بالمقالات، فإن مقالاته لم تكن عادية كغيرها من المقالات، إذ كان يودعها جل أفكاره وتصوراته عن الأدب ؛ لتخرج في حلة فريدة ،تحمل بصمته التي لا يخطئها أحد.

ومن هنا تأتي هذه الدراسة التي تتناول هذا الموضوع، الذي رأيت صياغة عنوانه على النحو الآتي : (فن الخاطرة في أدب الرافعي)، حيث تكتسب هذه الدراسة أهميتها من كونها تسلط الضوء على أبرز التداخل للأنواع الأدبية التي استعان بها الأديب مصطفى صادق الرافعي في التعبير عن تصوراته الفكرية ومواقفه الشعورية الخاصة، ومحاولة إيصالها إلى المتلقي، وذلك من خلال فن مخصوص هو فن الخاطرة، الذي عني به عناية فائقة، ولا سيما وهو يرسل مقالاته إلى مجلة " الرسالة " تحديدا، التي انضمت على أغلب مقالاته، وكان يكتب فيها كبار أدباء عصره على اختلاف منابعهم

ومنازعهم. وفي ضوء الدراسات النقدية والفنية الحديثة، يغدو أمراً على قدر كبير من الأهمية، لإعطاء هذا الأديب حقه، وخاصة أنه لا يزال حتى يومنا هذا يدهش ويعجب بأسلوبه، وله مؤيدوه، وإن كان بعضهم ربما لا يستطيع أن يعلل ماتي هذا الإدهاش أو الإعجاب في نثره.

أسباب اختيار الموضوع

كان مبعث اختيار البحث الرغبة في الغوص في بحر هذا الأديب بحثاً عن درر البلاغة والبيان، والكشف عن سمات أسلوبه، وكيف كان يكتب المقالات بروح الأديب المتكامل، الذي لا يقف عن حدود الفن الذي يكتب فيه، وإنما يستهلك كل طاقاته الإبداعية ليخرج أفضل ما عنده، مخلصاً لفنه الأدبي، وموجها لعقول الأمة.

إن فن الخاطرة في أدب الرافعي حظى بمكانة عالية و يعتبر من الكنوز الأدبية، فهو يحتوي على كنز من المعاني الذهبية والصور الجمالية تتجلى فيه معاني الحب والجمال، وهو غذاء الروح ومادة بديعة في الشعر والبيان، وهو عبارة عن مجموعة من الخواطر التي تحدث فيها الرافعي عن فلسفة الحب وغيرها من المجالات الحساسة في مجتمعاتنا وذلك من خلال بين محب ومحبوبته، وتعرض هذه الرسائل عدد من الموضوعات مثل الفلسفة والصوفية والحب والاشتياق، وقد استخدم الرافعي لغة ساحرة لوصف هذه المشاعر المؤثرة .

وقد أبهرنا الرافعي بكلمات غاية في العمق تصف مراحل الحب وتطوره مع مرور الوقت وحتى عندما يحدث الفراق كيف يعيش كلا الحبيبين في حالة حزن ممزوجة بالحنين.

وما بين زجاجة عطره وأحاديث شوقه وتباريح الحب التي بلغت مبلغها فيه تنهدت البلاغة وأمطرتنا بوابل طيب من الكلم الطيب وأخذت بأيدينا إلى دنيا الحب بفلسفته وجماله.

حرص الرافعي على الإفادة من أساليب القدماء التي تشربها في فترة مبكرة من حياته الأدبية، مع محاولة تجديد البيان العربي، ليصبح أكثر طواعية وحيوية وملا ءمة لروح العصر، وظيف الرافعي في

مقالاته معطيات التراث العربي والإسلامي، وذلك بطريقة فنية من شأنها أن تجعل من معطيات التراث وسائل تعبيرية وإيحائية لخدمة تجربته الراهنة، وشحنها، وتوسيع فضاءاتها الدلالية والرمزية، وفي هذه الدراسة المتواضعة " فن الخاطرة في أدب الرافعي " سنتناول أبرز محطات حياة الأديب الكبير وسنتطرق لعدة من مقالاته المختارة .

الدراسات السابقة :

في الواقع لا يجد المتتبع للرافعي دراسة مستقلة على وجه التحديد لموضوع فن الخاطرة في أدب الرافعي، وهو موضوع دراستنا الراهنة، هذا على كثرة ما كتب عن الرافعي، فقد توقف بعضهم عند حياة الرافعي، كما توقف بعضهم عند مضامين ادب الرافعي وخاصة المضامين الإسلامية والاجتماعية، ومن أبرز الدراسات التي تتناول جوانب مختلفة في أدبه ما يلي :

- دراسة في أدب مصطفى صادق الرافعي: د. نعمات أحمد فؤاد
- بلاغة القرآن في أدب الرافعي: د. فتحي عبد القادر فريد
- الجانب الاجتماعي في أدب المفكر الإسلامي مصطفى صادق الرافعي: عبد الستار السطوحي
- الجانب الإسلامي في أدب الرافعي: عبد الستار السطوحي
- مع الرافعي الكاتب: عمر الدسوقي
- معارك مصطفى صادق الرافعي التعليمية وأثرها في الأدب والشعر: محمد عزت أحمد
- مصطفى صادق الرافعي شاعراً: محمد إسماعيل عبد الحميد إسماعيل
- الجانب الديني في نثر الرافعي: سعاد صالح عبد المطلب
- القيم الإسلامية في أدب الرافعي: د. أحمد عبدالقادر الطويل
- الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد: مصطفى نعمان البدري.

منهج البحث :

اعتمد البحث على المنهج التحليلي الوصفي، حيث قمت بتحليل خواطر الرافعي تحديدا أوراق الورد، حديث القمر رسائل الأحزان والسحاب الأحمر، والكشف عن توافر عناصر كل نوع فيمنها، وإلى أي مدى ظهر التداخل بين تلك الأنواع وفن الخاطرة، ولقد أسفرت الدراسة عن عدة نتائج، دونت في نتائج البحث.

الصعوبات التي واجهت الدراسة :

ولقد واجهت البحث صعوبات عديدة، أولها قلة المراجع التي تناولت أسلوب الرافعي بالدراسة، وثانيها أن الخواطر تطرق عدة أنواع أدبية كبرى، لكل نوع منها أسراره، وخباياه، وخصائصها التي كان لا بد أن تدرس بعناية شديدة حتى يتسنى الكشف عنها في مقالات الرافعي، وحرصت الباحثة على رسم ملامح واضحة لكل فن بالقدر الذي تظهر به عند الرافعي بشكل أو بآخر، فلا يمكن بحال من الأحوال أن نجد نوعاً كاملاً مكتمل الأركان ماثلاً في مقال ما، ولذا فإن ما قد يعتورِ العرض النظري للنوع الأدبي من قصور ليس ناشئاً عن تقصير، وإنما لأن هذا ما يحتاجه البحث؛ فليس الهدف دراسة النوع الأدبي في حد ذاته، وإنما الهدف من الدراسة هو فقط توضيح الصورة التي ظهرها النوع الأدبي في تداخله مع المقال عند الرافعي.

خطة الدراسة :

بدئنا في بحثنا هذا بالمقدمة وبعدها بمدخل تمهيدي عرفنا فيه الخاطرة لغة واصطلاحا وفي الفصل الأول بدأنا بالتعريف عن الرافعي حيث تطرقنا الى مولده ونشأته ومن ثم نشاطه الأدبي والصحفي زفي الأخير وفاته .

وفي الفصل الثاني تطرقنا الى أربع خواطر كل خاطرة وضعنا في مبحث وبذلك يكون الفصل الثاني عبارة عن أربع مباحث، الأول أوراق الورد الثاني ديث القمر والثالث رسائل الأحزان والرابع السحاب الأحمر .

وفي الفصل الثالث تحدثنا عن الاتجاهات الفنية لخواطر الرافعي حيث في المبحث الأول تناولنا الرومانسية في خواطر الرافعي والمبحث الثاني الرمزية في خواطر الرافعي، وأنهينا الموضوع بخاتمة وضحنا فيها أهم النتائج .

بوداود سمية

سعداوي مونية

الخميس 14 ذو القعدة 1442 هـ

الموافق لـ24 جوان 2021م

المدخل: تعريف الخاطرة لغة واصطلاحا

الخاطرة:

تعد الخاطرة فنا أدبيا كغيرها من الفنون الأدبية [1] متشابهة مع القصة والرسالة في مضمونها والأسلوب الناجح لكتابتها بشكل جيد متقارب إلى حد كبير مع أساليب القصة والرسالة والقصيدة النثرية . وهي تعبير عما يتعلق في القلب من رأي أو معنى عند مشاهدة هذه أمر مألوف يوافق رأي الكاتب أو إحساسه بهذا الأمر.[2]

تعريف الخاطرة لغة:

الخاطرة هي مؤنث الخاطر وهذه أهم تعريفات الخاطر.

الخاطر: النفس أو القلب، اضطرب خاطره لما سمع من أنباء، مر بالخاطر أي جال بالنفس أو القلب، عن طيب خاطر أي براحة بال، سريع الخاطر أي سريع البديهة.

الخاطر: الهاجس

الخاطر: ما خطر في القلب من تدابير أو أمر، والجمع " خواطر" وقد خطر بباله وعليه يخطر ويخطر خطر إذا ذكره بعد نسيان وأخطر الله بباله أمر كذا، وما وجد له ذكرا إلا خطر ويقال خطر ببالي وعلى بالي كذا وكذا إذا وقع ذلك في بالك.[3]

نستخلص من هذه التعاريف أن الخاطرة هي عبارة عن مكبوتات النفس لما فيها من حب أو ألم حزن أو فرح .

[1] تعريف الخاطرة، نسخة محفوظة، 09 مايو 2019 على موقع واي باك مشين : www.wikiwand.com/

[2] عمار علي سليم الخطيب في الأدب الحديث ونقد دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، ط1، 2009، ص 140.

[3] محمد صالح الشنطي، تداخل الأنواع الأدبية في الرواية الأردنية، مج 2 ،ص 435.

تعريف الخاطرة اصطلاحا:

هي نثر أدبي صيغت فيه الكلمات ببلاغة، ويمتاز بكثرة المحسنات البديعية من صور واستعارات وتشبيه، وهي كلمة موجزة قصيرة يلقاها المتكلم خطيبا أو واعظا من أجل التنبيه على قضية أو مسألة محددة خطرت بباله، أو أعدها مسبقا في زمن قصير دون استطراد أو إطالة.[1]

الخاطرة فن أدبي كغيرها من الفنون الأدبية والقصيدة النثرية، وهي تتميز بأنها غير محددة " برتم" أو بوزن موسيقي معين أو قافية، وتخلو من التفصيلات، وهي تعبير عن ما يحول بخاطر الكاتب في قالب أدبي بليغ، كما يكثر فيها استخدام المحسنات والتصوير والكلمات القوية، ألا وهي انفعال وجداني وتدفق وليد اللحظة أو الحين، ومدته قصيرة لأنها تكتب لحظة حدوث الشيء أو بعده ولا تحتاج لإعداد مسبق أو أدلة وبراهين، وقد تتعدد أشكالها ما بين القصر والطول، فالخاطرة القصيرة تأتي في كلمات سهلة وبسيطة ومفهومة، والخاطرة المتوسطة هي الأكثر جمالا لوجود التماسك الفكري القوي وانحصار المعنى، أما الخاطرة الطويلة تكون كثيرة المعاني ومبالغ في صيغتها.[2]

و على ضوء ما درسنا من التعاريف إلا أن مفهوم الخاطرة بسيط التعريف فهي كلام ينبع من القلب يترجمه اللسان في كلمات على ورق.

[1] مجموعة مؤلفين، تداخل الأنواع الأدبية، مؤتمر النقد الدولي الثاني عشر، المجال 1 ،الكاتب العالمي، عمان، الأردن، ط، 1 2009 ،ص 102.
[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

الفصل الأول :
التعريف بالرافعي

هو مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي ابن عبد اللطيف البيساري بن عمر البيسار [1]، في نسب طويل من أهل الفضل يتصل بالصحابي الجليل عبد الله بن أمير المؤمنين الإمام العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنهما [2]، وأصل أسرة مصطفى صادق الرافعي من طرابلس الشام، وأول وافد من هذه الأسرة العريقة إلى مصر هو الشيخ محمد الطاهر الرافعي سنة 1827 ،و يعد مرشد الأسرة الرافعية لمصر فتوافد إخوته وأبناء عمومته يتولون القضاء بخاصة، ويعلمون مذهب أبي حنيفة، فاجتمع منهم في وقت ما أربعون قاضيا موزعين على مختلف المحاكم المصرية، ووالد مصطفى صادق الرافعي الشيخ عبد الرزاق هو واحد من أحد عشر أخا اشتغلوا كلهم بالقضاء من ولد الشيخ سعيد الرافعي، كما نبغ من الأسرة الرافعية عدد كبير من الأدباء والفقهاء، ما جعل احمد شوقي يمتدحهم في حفل تكريم أحد أعالم هذه الأسرة "عبد الحميد الرافعي" الملقب ببلبل سورية، وهو من الأسرة الرافعية التي بقيت في الشام يقول أحمد شوقي في مطلعها:

أعرني النجم أوهبني يراعا يزيد الرافعيين ارتفاعا

ولقب الرافعي معروف في الفقه الإسلامي، ويذكر سعيد العريان صديق مصطفى صادق الرافعي أنه سأل الرافعي يوما عن سبب هذه التسمية فقال له "لا أدري، ولكني سمعت من بعض أهلي أن أول من عرف منا بهذا الاسم شيخ من آبائي كان من أهل الفقه وله حظ من الاجتهاد والنظر في مسائله، فلقبه أهل عصره بالرافعي، تشبيها له بالامام الكبير الشيخ محمود الرافعي صاحب الرأي المشهور في الشافعية، والله أعلم".[3]

[1] خير الدين الزركلي، الأعلام،دط، ج7 ،دار العلم للماليين،بيروت، دس، ص235.

[2] مصطفى نعمان البدري، الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد، د ط، دار الجيل، بيروت،دس، ص103.

[3] محمد سعيد العريان، حياة الرافعي،ط3 ،سنة 1955 ،ص27.

المبحث الأول: مولده ونشاته

ولد مصطفى صادق الرافعي شهر يناير من عام 1880 بقرية "بهتيم" بمحافظة القيلوبية في دار جده، حيث أصرت والدته على أن تكون والدتها في دار أبيها "وكان أبو ها الشيخ الطوخي تاجرا تسير قوافله بالتجارة بين مصر والشام، وأصله من حلب، وأحسب أن أسرة الطوخي ما تزال معروفة هناك، على أنه كان قد اتخذ مصر وطنا له قبل أن يصل نسبه بأسرة الرافعي، وكانت إقامته في بهتيم من قرى مديرية القيلوبية، وكان له فيها ضيعة" [1] وتنقل الرافعي في بداية حياته بين عدة محافظات تبعا لطبيعة عمل والده، الذي كان يشغل منصب قاض في المحاكم، فتنقل بين "دمنهور" و"المنصورة" إلى حين تولي والده محكمة "طنطا" فاستقر به المقام هناك، وفي "طنطا" نشأ الرافعي، واخوته واتخذها سكنا له حتى بعد وفاة والده وكان أو ل ما بدأه صادق الرافعي من حصيله العلمي على يد والده الشيخ عبد الرزاق، وأخذ من مجالس الشيوخ الذين كانوا يفدون إلى بيت والده، وأقبل على كتاب الله يحفظه " فجمع القرآن الكريم حفظا وتجويدا، وهو في سن العاشرة " [2]، واستوعب المبادئ الأساسية من تعاليم الدين واحترام الكبير في صغره، كونها ضرورة ينشأ عليها الفرد ويدب "فلا ينشأ الناشئ منهم حتى يتناولوه بألوان من التهذيب تطبعه من لدن نشأته على الطاعة واحترام الكبير وتقديس الدين وتجعل منه خلفا لسلف يسير على نهجه ويتأثر بخطاه" [3]، وقد تأخر دخوله إلى المدرسة ربما لكون التعليم آنذاك موزعا بين المدارس والكتاتيب، والتحق الرافعي بالكتاب في أول أمره وسنه لم يتجاوز السادسة، وتعلم منه مبادئ القراءة والكتابة، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية في "دمنهور" وهو ابن الثانية عشر وقضى بها سنة من تعليمه، وأبوه حينئذ يشغل منصب كبير القضاة الشرعيين في محكمة دمنهور، ولما نقل أبوه إلى مدينة "المنصورة"انتقل معه والتحق بالمدرسة "الأميرية" أين نال منها الشهادة الابتدائية بتفوق وكانت هذه نقطة النهاية في تعليمه النظامي، وقد أظهر مصطفى صادق الرافعي نبوغا وتميزا منذ صغره لفت به الأنظار وأدهش مدرسيه من ناحية، ولكن من ناحية أخرى

[1] حمد سعيد العريان، المرجع السابق، ص23.

[2] ينظر مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، ،ج3،دط، دار الكتاب العربي، ،بيروت، لبنان،دس، ص1

[3] محمد سعيد العريان، المرجع السابق، ص28.

أوغر به صدور بعض زملائه، خاصة وأنه كان لا يحب الافراط في اللعب وحبذ التكلم باللغة الفصحى منذ صغره ليخفي ما كان في لسانه من اللهجة الشامية التي تنم عن أصله، وقد فطن أبوه الشيخ عبد الرزاق إلى ميل ولده للغة العربية الفصحى، فاستغل ذلك أيما استغلال، ووفر له كل ما يحتاجه طالب مجتهد فيّ مثل سنه من كتب اللغة العربية وعلومها،

وأخذ يلقنه أصول النحو والصرف والبلاغة، ويثبت في صدره حفظ كتاب الله وتفسير آياته، حتى رسخ ذلك في ذهنه وانعكس في أسلوبه ولغته، ومكنه وهو ولد صغير من أن ينظر نظرة الكبار"إذ اعتزم مرة أن يضع كتابا في العربية وفنونها يجعل شواهد النحو والصرف كلها من نظمه" [1]، ولم يكن والده فقط صاحب الفضل فيما آل إليه صادق الرافعي، فأمه "أسماء" أيضا كانت تخصه بالعنايةّ والرعاية وتؤمره عن باقي إخوته خاصة وأنه كان ضعيف البنية وكان يطيعها ويبرها " واليها كان يسند الفضل الأول فيما آل إليه أمره من الدرس والمطالعة والأخذ والاستيعاب..ثم الامامة في الادب حيث غدا حجة العرب في لغتهم والعلم بأيامهم وشعرهم ومأثورهم" [2]، أما حظه من التعليم الرسمي فلم يتعدى حصوله على الشهادة الابتدائية وانقطع بعدها عن التعليم النظامي، ومرد ذلك إلى مرض شديد أصابه، ألزمه الفراش أشهرا "فما نجا منه وقد ترك في أعصابه أثرا كان حبسة في صوته ووقرا في أذنيه فيما بعد" [3]، على الرغم من التماسه العلاج، الا أن المرض كان في أعصابه، وبدأ سمعه يثقل شيئا فشيئا وكأن الأصوات صادرة من مكان سحيق ومحدثه لا يبعده أمتارا، حتى فقدت إحدى أذنيه السمع وما لبث أن تبعتها الأذن الاخرى، فما أتم الرافعي العقد الثالث من عمره حتى فقد السمع تماما وانقطع عن دنيا الأصوات، وكاد المرض أن يذهب بصوته لكن الابتلاء وقف هاهنا فوقف الداء عند ذلك، وكانت هذه العلة السبب الرئيس للتوقف عن التعليم النظامي "لينقطع لمدرسته التي أنشأها لنفسه وأعد برامجها بنفسه وكان فيها المعلم والتلميذ" [4] ،وأضحى الكتاب جليسه

[1] مصطفى نعمان البدري، الامام الرافعي، د ط، مطبعة دار البصري، بغداد، 1928 ،ص2

[2] المرجع نفسه، 246.

[3] محمد سعيد العريان، المرجع السابق، ص 29.

[4] المرجع نفسه ، ص 30.

ومادة معرفته، وغدت علته خيرا عليه وبركة، وكأنه علم أن الضربة التي لم تقتله إنما زادت في قوته، فجعل من الخسارة أرباحا مضاعفة.

المبحث الثاني : نشاطه الأدبي والصحفي

الرافعي من قلائل الأدباء الذين كتبوا في النثر ونظموا في الشعر، إلا أن حظه من الكتابة النثرية كان أكبر وأجمل، وله العديد من الاثار المطبوعة وغير المطبوعة فهو أديب غزير الانتاج، يتبوأ مكانة رفيعة بين الأدباء وتتمثل آثاره فيما يلي:[1]

أ/ آثاره الشعرية المطبوعة:

1.ديوان الرافعي: في ثلاثة أجزاء: طبع الأول سنة(1321هـ/1902م)، والثاني سنة (1322هـ/1903م)، أما الجزء الثالث طبع سنة (1324هـ/1908م).

2 .ديوان النظرات: طبع الجزء الأول بمطبعة الجريدة بمصر عام (1327هـ/1908م)

3 .النشيد الوطني المصري: نشرته المكتبة الازهرية بمصر عام (1939هـ/1920م).

4 .اسلمي يا مصر – نشيد سعد زغلول- صدر عام (1342هـ/1923م)

ب/ آثاره الشعرية غير المطبوعة:

1.ديوان النظرات: الجزء الثاني عبارة عن قصائد متنوعة نظمها على فترات ونشر بعضها في الصحف، وتوزع الباقي بين أوراقه وأيدي أصدقائه.

2 .أغاريد الرافعي: ديوان فريد في الشعر الحديث ضم مجموعة من القصائد الغنائية، والتي ناغى بها أبناءه...و ضم أيضا مجموعة من الأناشيد القومية والوطنية.

3 .الفؤاديات: يضم مجموعة قصائد مناسبات سواء ما تعلق بالأيام الملكية وغيرها.

4.بقايا الديوان: مجموعة من القصائد المتناثرة هنا وهناك بين كتاباته النثرية.

[1] أحمد حسن الزيات، وحي الرسالة- فصل في الادب والنقد والاجتماع-، ط7،مج1،مطبعة الرسالة، مصر،1962.

ج/ آثار الرافعي النثرية:

1 .حديث العمر: صدر في طبعته الاولى عام 1912 عن ناشره محمد سعيد الرافعي.

2.تاريخ آداب العرب: في ثلاثة أجزاء: الطبعة الأولى سنة 1911 ،والجزء الثاني عام 1912 فيما طبع الجزء الثالث بعد وفاته، أخرجه سعيد العريان سنة (1360هـ/1941م).

3 .إعجاز القرآن: وهو الجزء الثاني من تاريخ آداب العرب صدرت، طبعته الأولى عام (1332هـ/1914م)، درس فيه إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية، وانفرد بمسماه الجديد في الطبعتين الثانية والثالثة صدرت عن دار المقتضى عام 1928 وأعيد طبعه مرات عديدة.

4.كتاب المساكين: صدرت الطبعة الأولى عام (1335هـ/1917م) .

5 .رسائل الأحزان: صدر عام 1924.

6.تحت راية القرآن: المعركة بين القديم والجديد، جمع به كل ما كتب الرافعي في المعركة بين القديم والجديد من عام 1908 إلى غاية 1926 وطبع عدة مرات.

7 .السحاب الأحمر: كتب في فترة متقاربة مع رسائل الاحزان وطبع أكثر من مرة.

8.على السفود: كتاب في النقد والتحليل صدر الجزء الأول سنة 1931

9 .أوراق الورد: صدر عن المطبعة السلفية سنة (1349هـ/1931م) وأعيد طبعه مرات

11 .رسالة الحج: طبع بمطبعة المستقبل بالاسكندرية.

11 .وحي القلم: يضم مجموعة من المقالات والخواطر والقصص في 3 أجزاء: طبع الجزء الأول والثاني في حياته، والجزء الثالث بعد وفاته جمعه صديقه سعيد العريان من قصاصات وأوراق وجدها في مكتبة الرافعي: الجزء الأول والثاني صدرا عن مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة بالقاهرة عام (1355هـ/1936م) وأعيد طبعهما مرات مع الجزء الثالث الذي أخرجه سعيد العريان.

12 .رسائل الرافعي: أخرجها محمود أبو رية مطبعة الحلبي-القاهرة سنة (1371هـ/1950م).

د/ آثاره النثرية غير المطبوعة:

1 .موعظة الشباب: قصة تمثيلية ورواية في آن واحد، تحوي فصولا من الشعر مزجها بالنثر ونشر شيء منها في الجزء الثالث من ديوانه.

2 .ملكة الانشاء: عبارة عن موضوعات جعلها كنماذج لتربية ملكة الانشاء منها ما نشره في الجزء الأول من ديوان النظرات ومنها ما نشره في الجزء الثالث من الديوان.

3.شعراء العصور وطبقاتهم: نشر العديد من فصوله في الصحف والمجلات.

4.فصح الكلام: كتاب في اللغة، كان في عام 1928، ولم يطلع عليه أحد إذ آثر أن يتمه اولا، ولكن لم يتحقق له ذلك.

5 .أسرار الاعجاز: عزم-رحمه الله- أن يؤلفه خاصة بعد النجاح الذي عرفه كتاب –إعجاز القرآن والبالغة النبوية- فكان مشغول الفكر بإتمامه، وبعد وفاته كان الكتاب يكاد يكون تاما في كثير من أبوابه وفصوله.

6 .الكتاب النبوي : كتب الرافعي في السيرة النبوية في كتابه –إعجاز القرآن والبلاغة النبوية- لكن بقيت بعض المعاني أراد أن يتمها، ولما وجد في كتاب طه حسين –على هامش السيرة- نوعا من التهكم الصريح أراد الرد على هذا وامثاله ممن يتاجرون بالسيرة العطرة.

بالاضافة إلى ما سبق ذكره، فهناك العديد من البحوث والمقالات التي لم تحظ بالعناية لجمعها وتصنيفها.

المبحث الثالث : وفاته [1]

في صباح يوم الاثنين 10 مايو عام 1937 استيقظ الرافعي لصلاة الفجر، فتوضأ وصلى ثم جلس يقرأ آيات بينات من الذكر الحكيم، ثم تناول دواءا وصفه له ابنه الدكتور محمد، ليذهب ما يحس به من حراق في معدته، وأشار إليه ابنه بأن ينام، وبعد ساعة نهض الرافعي من فراشه وقد ذهب ما كان يحس به من ألم، وأخذ طريقه إلى الحمام فلما كان في البهو سقط سقطة عنيفة فهب إليه أهله مذعورين، ليجدوا الرافعي قد أسلم روحه لبارئها، ودفن في عصر ذاك اليوم في مقبرة طنطا بجوار والديه، وبهذا يكون قد سكن لسان وجف قلم قطب من أقطاب الادب العربي و"ثروة من ثروات الأمم لا تكتسب بالحيلة ولا بالارث" [2] فرحم الله الاديب مصطفى صادق الرافعي وجعل ما أثمر أدبه في سبيل الدفاع عن الاسلام في ميزان حسناته.

[1] كمال نشأت، مصطفى صادق الرافعي، د ط، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، مصر، ص 24.

[2] مصطفى نعمان البدري، المرجع السابق، ص 389-473

الفصل الثاني:
خواطر الرافعي

يعتبر مصطفى صادق الرافعي ركيزة أساسية من ركائز الثقافة الأدبية العربية ، وعلامةً بارزةً في أدبنا العربي الحديث بوجه عام، وأحد أهم رواد النثر الحديث بوجه خاص الذين حملوا على عاتقهم مهام تجديده وأعباء ذلك والخروج به من أفقه الضيق ووضعه القديم، والانطلاق به إلى آفاق جديدة متحررة من الكتابة لا تمثل جنساً واحداً بل تشتبك مع كل الأجناس، لتشكل لنا في النهاية خليطاً متجانساً يعبر جلياً عن نمط متميز خاص من الإبداع، مختلف عن غيره من الكتابات الأخرى .

ولا احد يشك في ما قدمه الرافعي للأدب العربي الحديث، إذ أضحى ينافس كبار المدارس الأوربية، حيث قال عنه الأديبُ عباس محمود العقاد بعد وفاته بثلاث سنوات: " **إن للرافعي أسلوبًا جزلًا، وإن له من بلاغة الإنشاء ما يُسلكه في الطبقة الأولى من كُتَّاب العربية المُنشئين**"، وقال عنه شكيب أرسلان في مطلع كلمته بعنوانِ ما وراء الأكِمّة : " **حضرة الأستاذ العبقري، نابغة الأدبِ، وحجة العربِ**" .

ومن خلال هذا الفصل سنتطرق لأربعة كتب من كتب الرافعي، أول هذه الكتب أوراق الورود الذي عالج فيه نظريته الفلسفية الخاصة بالحب والجمال وذلك في المبحث الأول من الدراسة، أما في المبحث الثاني سنتطرق لكتاب حديث القمر الذي قسمه لفصول يخاطب فيها القمر ويتغزل بواسطته .وفي المبحث الثالث سنتطرق لكتاب رسائل لأحزان وفي الرابع السحاب الأحمر.

المبحث الأول : أوراق الورد

يعدّ كتاب أوراق الورد للأديب مصطفى صادق الرافعي من الكتب الأدبية القيمة التي تحمل في طياتها نوعًا جديدا، حيث كان الكتاب رسالة في فلسفة الحب والجمال.

كما أن الكتاب عبارة على طائفة من الخواطر المنثورة في فلسفة الجمال والحب أنشأه الرافعي ليصف حالة من حالاته ويثبت تاريخاً من تاريخه في فترة من العمر لم يكن يرى لنفسه من قبلها تاريخاً ولا من بعدها .

يقول الرافعي عن كتابه أوراق الورد بأنها رسائل تطارحها شاعر فيلسوف روحاني وشاعرة فيلسوفة روحانية، كلاهما يحب صاحبه كما يقول الفيلسوف ابن سينا باعتبار عقلي، حيث يرى القارئ من خلال الكتاب فلسفة حبهما في بعض مما يأتي، كما هو الحال بالنسبة للكتابين الآخرين من نفس السلسلة، وقد جرت الرسائل بينهما على أغراضها في أحوال مختلفة يكتب إليها بما عنده منها، وما عند نفسه من نفسه وما يكون من الوجود المحصور بينهما في حدود الحب، وكأن تلك الكتب الثلاثة هي ما استوجبته الحياة من عمال قلب ذلك الشاعر في تدوين حادثة واحدة من حوادثه، فلو أن بيانا أكثر من ان يكون بيانا لما علمته غلا هذا الأثر من خالصة السريرة في ذلك الشاعر الخالص للحب، الموقوف الضلوع على الهوى [1].

ويتحدث عن سبب تسمية الكتاب بأوراق الورد فيقول " **كانت معها ذات يوم وردة لا أدري آيتهما تستنشي الأخرى فجعلت لها ساعة من حفاوتها تلمسها مرة صدرها ومرة شفتيها، والوردة بين ذلك كأنما تنمو في شعاع وندى، إذا رأيتها وقد تفتحت وتهدلت حتى حسبت أنها قد حالت أوراقها شفاها ظمأى ... لأنها على يده فن لا وردة** " [2]، فيعلم القارئ بأن الحبيبة

[1] مصطفى صادق الرافعي، أوراق الورد، دار النشر هنداوي، ص 120 .

[2] المصدر نفسه، ص21 .

شاعرة روحانية تسمو هي وصاحبها بالحب فوق المادة، ولا يريدان إلا وحي النفس الجميلة للنفس الجميلة .

وقد كتب الرافعي عن كتاب أوراق الورد سنة 1930 قائلا " **أفكاري الآن منصرفة عن الصورة والتصوير، وربما أخذ الرسم بعد الفراغ من أوراق الورد لأني شديد التعب من هذا الكتاب، الكتابة فيه عسرة جدا إذ هي طلقة وحدها، وقد كان عندي بالأمس احد الأدباء المطلعين على الآداب الانجليزية فأقرأته بعض رسائل منها، فقال إن مثل هذا لا يوجد في الأدب الإنجليزي إلى الآن، والحمد لله على توفيقه نسأله عونه وتيسيره** " [1] .

وما يمكن قوله هو أن الرافعي من خلال كتاباته يمكن تمييز نوعين منها، أولهما الكتابات ذات الطابع الرومانسي الذي يعرض فيه فلسفة الحب والجمال، ويتغنى فيه بسحر الجمال، ويتغزل بالملامح والصفات، والنوع الثاني فيه طابع من الرمزية .

وهذا ما يعكسه كتاب أوراق الورد، الذي يحتوي على مجموعة كبيرة من رسائل الحب التي أنشأها الرافعي، وكانت خاطرة والسلام عليها أخر رسالة في الكتاب يقول " **وهذه كانت أخر رسائله في حب صاحبته تلك** "، وإن كانت هذه هي أخر ما أنشأ الرافعي من رسائل الحب فقد أنشأ من بعد فصولا من وحي هذا الحب ومن ذكرياته، يطالعها القراء في كل وقت وهناك رسائل أخرى لم تجد صورة منها لم خلف من أوراقه [2] .

" أما ألم الحب، فذاك حين يأتي على اللحم والدم معنى لو تجسم لكان هو الذي يصهر الحديد في موج من لهب النار، ويحطم الصخر في زلزلة من ضربات المعاول ... هناك الألم المدمر لا يكابده أي إنسان، كأنما يراد خلقه مرة ثانية فيهدم ويبني، أو يزاد تنقيحه فيغير ويزول " [3].

[1] محمود أبو رية، من رسائل الرافعي، دار المعارف، مصر ،ص198 .
[2] محمود صادق الرافعي، المرجع السابق، ص 228 .
[3] المرجع نفسه، ص 70 .

وما يمكن قوله عن الكتاب بأن الرافعي وصف الحب بأنه اندماج مع فلسفته ونظرته للحياة، كما حاول أن يأخذ في الاعتبار بأثر رجعي صوفية البحث عن الحب، حيث كتب الرافعي في هذا الكتاب رسالة لعشيقته- عشيقته الأولى وعاشقته الأخرى التي التقى بها في لبنان- وكتب لهذا الغرض حديث القمر ، وقال " **كانت قصة حب...ثم انتهت كما ينتهي كل حب بين اثنين تكون الفلسفة والكبرياء بعض عناصر وجوده، وافترق الحبيبان على غير ميعاد، وفي نفس كل منهما حديث يهم أن يفيض به** "[1]، يشعر القارئ بروحية الكلام المكتوب تجعل الكتاب عالماً من العوالم يحمل دنيا مستقلة وإن كان هو يُحمل في اليد .. وذاك بالضبط ما يشعر عند الوهلة الأولى من قراءة حروفه.

الرافعي له أسلوب فريد وقليل من الناس يكتبون هذه اللغة بأيديهم مثل الرافعي، فاللغة في أيديه مثل العجين. لذلك يمكنك بسهولة رؤية اللغة بين يديه، كما أن أعماله الأدبية رائعة تبهر القراء بفخر ودقة اللغة العربية وجلالة القلم، وما يمكن للكاتب أن يصنعه بقلم واحد فقط وذلك محل شك واستفهام لدى القارئ .

فاق الخيال وأبعد المدى تعبيره وبلاغة حروفه وكلماته التي جمعها كرسائل اتخذها يوماً أسلوباً يعبر فيه عن غيض من فيض يحمله في روحه لحبيبة روحه .. وذاك كما قال في إحدى رسائله "**عذراً أيتها الحبيبة فمهما أكتب فلا يزال وراء الكلام ذلك المعنى الدقيق الذي لا يظهره الكلام وذلك المعنى المعجز الذي هو بلاغة فوق البلاغة .. ذلك المعنى الجميل الذي هو أنت**" [2].

والملاحظ بأن خواطر الرافعي في كتابّ أوراق الورد تتميز بعدم الوضوح، حيث تحيل القارئ لتساؤلات، فيصيبه الشغف لمعرفة أجوبتها يعود ذلك لاستخدامه الصور الأدبية المتنوعة، وكذلك استخدام الأساليب الإنشائية والصور البيانية والمحسنات البديعية، يقول الرافعي **" ما أحوجني غلى معجزة نبي تحول الحجر الذي في ضلوعها إلى القلب ... فتقول عنه : ما أحوجني غلى بعض**

[1] محمود صادق الرافعي، المرجع السابق، ص 150.

[2] المرجع نفسه، ص 146 .

الملائكة أو الشياطين، ليكشف لي سر نفسه المخبوءة تحت مكان الصبر في قلبه " [1]، وفي النص كناية عن القسوة .

ومن العناوين التي رسمها الرافعي في الكتب : قلت وقالت " **فقالت إنه يقول : غنسان أحمق أو مخبول يحاول أن يجعل له بحرا من قطرتين، قال اراك يا فيلسوفتي لا تفهمين لغة الوجود..**" [2]، فلغة الحوار ظاهرة في هذا المقتضب وهي سائدة في كل الخاطرة حيث أنها من اكبر الخواطر التي بعثها الرافعي في كتابه، وقال في خاطرة أخرى عنوانها افتح الشمس " **أعجب لقلبك، يأبى إلا أن يحتبس في هذه الفكرة المظلمة التي توهمك أني أسأت إليك وقصدتك بالمهانة ... هل القلب يعادي صاحبه أحيانا فيعاديك قلبك، ويأبى عليك إلا أن تصر وتكابر، وتغلق النافذات كلها، ثم تذهب تتهم الشمس ؟ ما حيلة الشمس في الحيطان والأبواب التي أنت تقيمها ؟ افتح لها تدخل إليك** "[3].

كما أن الكتاب تضمن الكثير من العناوين الأخرى التي لامس فيها الرافعي مشاعر العاشقين، وعرض فلسفة الحب خاصته بمزيج من الذوق الأدبي والأساليب المتنوعة ومن بين العناوين: شجرات الشتاء، رسائل الطيف، في العتاب، في الأحلام، يا قلبي، أليس كذلك...إلخ.

[1] محمود صادق الرافعي، المرجع السابق، ص 70 .
[2] المرجع نفسه، ص193 .
[3] المرجع نفسه، ص217 .

المبحث الثاني : حديث القمر

يعد قلم الأديب مصطفى صادق الرافعي من الأقلام الفذة التي تحمل العديد من التأثيرات اللغوية المتنوعة وكذلك الأساليب اللغوية المتميزة، ويعتبر كتاب حديث القمر من الكتب النثرية المهمة التي ألفها الرافعي، ووضع فيها جمال اللغة وبديع الكلام، فالكتاب عبارة عن مجموعة من تجليات وخواطر في قلب الكاتب ترجمها إلى كتاب لطيف وممتع، حيث أن الكتاب يحوي مجموعة من الفصول التي يغازل فيها الرافعي القمر، مستعملا أسلوبا لغوي متميز، تغلب في نصوصه خصائص الرمزية والتشبيهات اللغوية، وتعكس تأثر الرافعي بهذا النوع من الكتابات، وقد ذكر بأن الرافعي قد كتب حديث القمر في شهر واحد [1] .

ويستهل الرافعي حديثه في كتاب حديث القمر، لتبيين سبب كتابته تلك فيقول " **هذه مقالة صرفت فيها وجه الحديث غلى القمر وبعثت إلى الكون في أشعة الفجر كلماتها، ولقد كان القمر بضيائه كأنه ينبوع يتفجر في نفسي، فكنت أشعر بمعاني هذا الحديث كما يشعر الظمآن للهف قد بلغ الري وتندى الماء كبده فأحس بروحه تتراجع كأنما تحدرها قطرات الماء**" [2]، ويختم قوله فيقول " **كتبت هذه المقالة وبحسبي منها أن يكون عند الحقيقة ذخرها، وعند الجمال شكرها، وعند الله أجرها** "[3] .

وقد تعرض الرافعي في كتابه لمفهوم البلاغة والبلغاء، وقال في ذلك " **البلاغة التي حار العلماء في تعريفها على كثرة ما خلطوا لا تعدو كلمتين : قوة التصور، والقوة على ضبط النسبة بين الخيال والحقيقة، وهما صفتان من قوى الخلق تقابلان الإبداع والنظام في الطبيعة، وبهما صار**

[1] محمود أبو رية، المرجع السابق، ص103 .

[2] محمود صادق الرافعي، حديث القمر، دار هنداوي للنشر، مصر، ص 8 .

[3] المرجع نفسه، ص 9.

أفراد الشعراء والكتاب يخلقون الأمم التاريخية خلقا، ورب كلمة من احدهم تلد تاريخ جيل "[1]، وهذا ما يثبت تأثر الرافعي بالبلاغة العربية الأصيلة، والتي لخصها في كلمة قوة التصور .

1 -الفصل الأول :

يستهل الرافعي هذا الجزء بالتغزل بالطبيعة وسحر الليل، فيخاطب القمر ويعد صفات الله الخلابة التي ظهرت وبانت، وكأن الرافعي يخاطب بشرا مثله، فيقول " **أيها القمر الأن وقد أظلم الليل وبدأت النجوم تتضح وجه الطبيعة التي أعيت من طول ما انبعث في النهار... والآن وقد بدأت الطبيعة تتنهد كأنها تنفس بعض أكدارها، أو هي تملي في الكتاب الأسود أخبار نهارها ... والآن وقد رقت صفحة السماء رقة المنديل أبلته قبل العاشق في بعاد طويل ... أرأيت أيها القمر هذا النهر الصافي الذي يجري كأنه دموع السحر ...** " [2] .

واستغل النهر بعد ذلك للحديث عن الدموع التي ذرفها جراء بكائه، واضطراب في حالته النفسية، وتعدد الأفكار وتراشقها، واختلاج قلبي حاد، فهناك من يحيا بالدموع وهناك من يموت بها، والسبب في كل ذلك ما يسميه الناس بالحب وتسميه الطبيعة الحياة المعذبة .

يعود الرافعي للحديث عن البلاغة فيقول : " **وأنت إذا أردت أن تدرس علم البلاغة من هذه اللغة الطبيعية فادرس المصائب والآلام والأحزان، إنما هي في أقانيم* البلاغة الثلاث: المعاني والبيان والبديع** "[3] .

---

[1] محمود صادق الرافعي، حديث القمر، المرجع السابق، ص 200 .

[2] المرجع نفسه، ص 206 .

*يقصد بها : الجوهر، والشخص، والأصل. (ج) أقانيم. وفي اللاهوت المسيحي: أحد الأقانيم الثلاثة، وهي: الأب، والابن، والروح القدس. واصطلاحا: (عند أفلوطين): أحد مبادئ العالم الثلاثة الأُولى وهي: الواحد، والعقل، والنفس الكلية، استعملها الرافعي للدلالة على الثلاثة .

[3] محمود صادق الرافعي، حديث القمر، المرجع السابق، ص 14 .

2 -الفصل الثاني :

يخاطب الرافعي القمر مرة أخرى في هذا الفصل، ولكن هذه المرة يتكلم عن الجمال والحب، وكما هو معلوم بأن الرافعي له فلسفة خاصة للجمال والحب، وما يلمس في حديث الرافعي هذه المرة هو التغزل بواحدة ممن يعرف فقال " **فتلقتهن وجعلت تطرف كل حاسة بتحفة نفيسة من هداياها وهن يتناهبنها، وأنا في ذلك كأنني مقسم إلى حزب أو مجتمع من حزب ...** "[1]، كما تحدث الرافعي في هذا الجزء عن الحياة في أكثر من موضع، ولعل السبب في ذلك هو الحقائق التي وصل إليها، فتجده يقول " **وما أسرع ما اجتمعت عليه أشتات الحياة التي توزعها الآمال لتنغمس في بقايا تلك القبلة العذبة التي صبها الهوى على القلب ... ودع الناس يزنون بها الحياة لا الموت ... وأنا لا أقول بإغفال الوقت... وإنما أريد أن يحاسب أحدنا ربه بالدقيقة** "، وتحدث الرافعي عن الظلم والاستبداد وعن الملوك الطغاة واسترقاق الشعوب، وذلك في قالب أدبي ساحر .

3 -الفصل الثالث :

يشكو الرافعي في الفصل الثالث حزنه وحاله للقمر، وهو يعلم بأن لا جواب سيأتيه، ولا راد على حاله، فتشتعل نار قلبه أكثر ويأتيه شعاع لا يعلم له مصدر، فيستبشر به خيرا ويقول بأنها من لغة الضحك الخاصة بالأطفال، والتي تفيض ألحانا حتى في الحزن .

كما يتحدث الرافعي عن الإنسان وغروره وحقيقته فيقول " **المال الكثير حاجات كثيرة، وحاجات هذا الإنسان الضعيف معدودة محدودة، ومهما حاول وزاول فانه لن يعدو حده الطبيعي، إذ قد عرفت الطبيعة غروره وطماحه فجعلت له من المعدة قيدا في باطنه ووضعت عليه من القلب قفلا صغيرا ، بيد أنه متين لا يقتحمه إلا الموت** "[2].

[1] محمود صادق الرافعي، حديث القمر، المرجع السابق، ص 17 .

[2] المرجع نفسه، ص26 .

4 -الفصل الرابع والخامس :

ولا يزال يتغزل بالقمر ويخاطبه ويتغنى بسحر الطبيعة وجمالها في مطلع الفصل الرابع من الكتاب، فيقول " **أنت يا قمري الجميل راية السلام الإلهية البيضاء، لا ترفع للنهار حتى يغمد حسام الضياء في جفنه الأسود ... آه يا قمري الجميل وآه على هذا السحر السماوي لو يكون للجمال الأرضي شيء منه يتفادى به من لسان واش وعذول ... يخيل إلي أنك أنت أيها القمر جزيرة تلوح فيه على بعد** "[1] .

وقد تحدث الرافعي عن الشاعر الصحيح واعتبره نبي إذا ما طور من التكوين الشعري خاصته، حيث ربط ذلك بمجد الأمة، وقال **" الشاعر الصحيح رجل الكمال السماوي لأن الشعر إذا لم يكن مع الشرائع كان عليها ... ما هذه العظائم الكبرى التي يمثل بها الزمن تاريخ العقل الإنساني إلا أفكار ولدت بديئا في قرائح الشعراء "**[2]، وكما هو معلوم بان الرافعي بعد أن كان كاتبا فذا وفيلسوف عظيم، نجده شاعرا رزينا أيضا .

تحدث الكاتب في الفصل الخامس من الكتاب عن حسن وجمال حبيبته فقال " **ولكن ثغرها البسام لم يدعني أموت في شعاعه الذي يتدفق بحياة حلوة لذيذة وبموت أحلى منها وألذ غير انه لا يميت : لأن الحسن يبخل على الحب بمثل هذا الموت الهنيء** "[3].

والظاهر من حديثه أنه متيم بجمالها وبسمتها، وأن ثغرها البسام يصعد بشعاعه للسماء وبأن بسمتها أحاطت بقلبه، كما تحدث الرافعي بأن السلطان على الطبيعة هو سلطان الروح لأن الطبيعة أداة في يد الله .

[1] محمود صادق الرافعي، حديث القمر، المرجع السابق، ، ص 31 .
[2] المرجع نفسه، ص 80 .
[3] المرجع نفسه، ص 35 .

ما يمكن قوله بأن هذا الفصل من الكتاب قد تكلم فيه عن أشياء كثيرة، فتجده يتحدث عن الملحد مرة وأخرى عن الطبيعة وأخرى عن الحب والجمال .

5 -باقي الفصول :

يبقى الرافعي في باقي الفصول يحاور القمر ويتغزل بالطبيعة ويحاكي ذلك الحب والجمال الذي يعيشه فتجده يقول " **ولكن يا قمر السماء، ويا مثال النية البيضاء، بل يا شبيه كلمة الرضي المبتسمة على شفتي الحسناء، هل تغضب الطبيعة على قوم من أهلها وهي كالطفل الضاحك أبدا ؟ وهل تعرف من الناس مؤمنين وملحدين وهي بجملتها شريعة الإيمان**" [1].

ويعرض في الفصل السابع جزءا من فلسفة الحب والجمال خاصته فتجده يقول " **ومن المعضلات النفسية الممتعة على الإنسان والوارثة منه معرفة العاشق المستهام صحة الرأي فيما إذا كان الجمال دليلا على قوة الخالق أو دليلا على ضعف المخلوق** "[2]، ويرى بأن الدموع أصبحت رقاعة أو صناعة في الأعين، بعدما كانت سبيلا للصبر حتى انه تغنى بها في نصوص سابقة، وهذا ما يثبت نفسية الكاتب المضطربة .

وكم ناجاك أيها القمر من عاشق قبلي، فإنك ما انفصلت عن الأرض إلا ليجعل الله منك أفقا لأمال الإنسانية الجميلة، بل أنا لا أحسب عاشقا من لا يناجيك ومن لا يأتي بدموعه وأحزانه وهواجسه ...

يقول الرافعي في ختام الكتاب مخاطبا القمر بأن الحقيقة قد بدأ تتوارى في حجاب الغيب فلا تلبثت قليلا يا صديقي السماوي الذي أنست منه معنى الخلود، ويقول بأن الحب جنون ولكن النبوغ جنون كذلك، أما الشباب الذي ينحدر به فإنما هو الشباب الهرم الفاني .

[1] محمود صادق الرافعي، حديث القمر، المرجع السابق، ص 43 .
[2] المرجع نفسه، ص 48 .

المبحث الثالث : رسائل الأحزان

رسائل الأحزان هو كتاب مُعْجِز في بيانه لفلسفة الحب والجمال، وهو مجموعة من الرسائل التي كان يمدُّ بها الرافعي جسورًا من أفَانِيْنِ وَجْدِه لمحبوبته؛ ليرسلها إلى صديقه محمود أبي رية ليشاطره وَجْده بها، وقد برع الرافعي في تقسيم فلسفة الجمال؛ فقسَّم الجمال في كتابه إلى أقسامٍ ثلاثة: جمال تُحِسُّه، وجمال تعشقه، وجمال تُحَنُّ به، وقسَّم الفكر: إلى فكر إنساني، وطبيعي، وروحي. وفلسفة الحب والجمال عند الرافعي تحملُ في طياتها إبداعًا يجمعُ فيه الحب في أثوابٍ من الأدب، ويرتقي به إلى معارِج الروح؛ فيكسبه مَلْمحًا دينيًا قدسيًا، فهو يرقى بالحب نحو آفاقٍ من الفلسفة التي يمزجُ فيها بين الدين، والأدب، والسياسة حينما يصف النَّفس المحِبَّة، وهو بهذه الرسائل يُحدِثُ انقلابًا على المعاني التقليدية التي عُهِدَت عن فلسفة الحب؛ لأنه يضع رسائله في صورة يكون فيها العاشق، والفيلسوف، والمتأمل في الذات الجمالية .

وقد حقق هذا الكتاب مبيعات ضخمة وتصدر قائمة الكتب الأهم في ساحته، كما أنه قد أحدث ضجة كبيرة وجذب الانتباه إليه نتيجة تميزه وتفرده في الأسلوب

وأسلوب مصطفى صادق الرافعي يتميز بالفرادة، فمن النادر أن تجد من الأدباء أحد يُطوع اللغة في يديه كالعجين كما يفعل الرافعي. فترى اللغة في يديه سهلة، وترى إنتاجه الأدبي غاية في التميز. وكتابات الرافعي تُشعر القارئ بعزة اللغة العربية ورقيها وعظمة القلم وما يُمكن أن يُبدعه الكاتب بالقلم وفقط

أجمعتْ في هذه الرسائل عواطفُ الحب تتساوَق معانيها دون حوادثها على نَسَق الشعر والفكرة لا على سرد التاريخ والرواية، إذ لم يكن الغرضُ منها حكاية نفسين بل صفة نفس صريحة لنفس معقَّدة فلما ضممتُ أُلْفَتَها وهيأتها للطبع أدرتُ الرأي فيما أرضاه منها وما لا أرضاه وما زلتُ بها على ما يختلط فيها من الحب والبغض حتى خرجتُ كما يخرج الماء الصافي من الماء الكِدر، وجاءت كما ترى نقيَّة بيضاء ليلها كنهارها.

1- مفهوم الجمال الحسي (المادي) عند الرافعي في رسائل الأحزان :

أ/ جمال المرأة

مفهوم الجمال عند الرافعي واسع عميق، لكونه بدأ شاعرا وانتهى كاتبا [1]، واعتمد في تجسيد ثقافته وفهمه للجمال على مصدرين هما: التراث العربي والدين الإسلام [2]. مفهومه للجمال الحسي للمرأة، يكمن بأن يجعل الرافعي جمال المرأة كما استقر في فهمه، منعكسا من العالم الخارجي، بتأثير مثال رآه في " عصفورة " فتاة عشقه الأول في حياته، و" مي زيادة "، ثم منطلقا تفهم الجمال إلى العالم الخارجي، وبدأ مفهومه للجمال الحسي، ينمو ويزداد بتأثير ذلك المثال الذي رآه، وكان هذا المثال محفزا من محفزات الإبداع عنده، لإظهار مواطن الجمال المادي في المرأة فهو يفهم الجمال الحسي من خلال قوله: " لا أحب إلا لثلاث: لأعرف، وأحس وأتخيل[3] .

وكان الرافعي كلما أحس حاجة إلى الحب، راح يفتش عن واحدة، فيبادلها بمشاعره وأحاسيسه فيكتب لها شعرا، فهو يؤمن " بأن النابغة في الأدب، لا يتم تمامه إلا إذا أحب وعشق" [4] . لذلك أحب الرافعي وعشق، وبدأ بخوض تجربته أول مرة حينما التقى "عصفورة" وأخذ يستلهم معاني الحب والجمال، وكانت ثمرة الحب الأول في حياته، أكثر قصائده الغزلية في الجزء الأول من الديوان، حَتَّى لُقّب بشاعر الحُسن، وسمي أيضا بشاعر الحب والجمال، لشدة ولعه بالغزل.

ومفهوم الرافعي لجمال المرأة، يظهر واضحا وجليا من خلال حبه تلك المرأة، وإحساسه بجمال صورتها، فنجده يقول: " وأرى أجمل الوجوه يخاطب في حاسة الإعجاب، ولا يعدو هذه العاطفة وأرى وجهك أنت، يبلغ مني القصوى ويأخذ بقلبي كله، ويستولي على جملة ما في إنسانيتي".

---

[1] مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم،ج1، دار ابن كثير، دمشق سوريا، ط2، 2007، ص25.

[2] مصطفى الشكعة، الرافعي كاتبا عربيا ومفكرا إسلاميا، عالم الكتب، القاهرة مصر، ط3 ، 1983م، ص22 .

[3] مصطفى صادق الرافعي، رسائل الأحزان، .دار الصحوة، القاهرة مصر، ط1 ، 2008، ص58 .

[4] محمد سعيد العريان، حياة الرافعي، مطبعة الاستقامة، القاهرة مصر، ط8، 1955م، ص 97 .

وهو يرى أن جمال المرأة يجذب كل من يراه، فتدرك الحواس قيمته، كما تدرك الأبصار نجوم السماء، وتتمثل أسلحة الحب لدى المرأة، بالشباب والجمال والنضارة، لتغزو قلوب محبيها، فنجده يقول:

سيّالة الأعطاف أين ترنّحت تطلق لكهربة الهوى سيّالها

طلبوا لها شبها يضيء ضياءها لهوى النّواظر أو يدلّ دلالها[1]

يصور الرافعي بألفاظ مدوية قوية، شدة تأثير هذه المرأة، ووقع جمالها الآسر على الرجال وبحسب رأي العقاد: إن في كل حب، بين رجل وامرأة شيئا من حاسة الجمال.[2]

لقد جدت عناصر الجمال في أدب الرافعي مشتركة بينه وبين القدامى، ومزيته أنه اكتفى باشارات بسيطة، تفصل مفهوم الجمال عنده. فالمرأة عند الرافعي تجسد مفهوم الجمال الحسي في أدبه، فهي تستخدم قوة سلطانها، ووفرة عواطفها، وذكائها الفطري، الذي يُنسي الرجل نفسه، مهما كان سنه أو مقامه، وهي كالزمن تمتد في كل العصور، والعرب نظروا إلى جمال المرأة وفُصَلوا القول فيه، فقد أحبوا الجمال وشغفوا به على مر العصور، قبل الإسلام وبعده ولقوة سلطانها على قلب الرجل، فقد استغرقت المرأة في العصر الأموي مثلا، سواء في الغزل العذري أو الحسي، أدب الشاعر كله لزيادة أهميتها وتأثيرها. [3]

ومن ملامح الجمال الحسي التي وقف عندها الرافعي لإظهار جمال المرأة، جمال العيون، فقد وقف على أسرارها، وتعد العيون من أبرز الأشياء الجميلة في وجه الإنسان، وامتدحها العرب كثيرا وفصلوا في وصفها، ونسبوا إليها السحر والقتل لروعة جمالها وفتنتها، فهي تأسر وتفتح القلب للحب، وهي التي تفعل في العقل فعل الخمر، فيحدثنا عن نظراتها السحرية الثاقبة، التي تصدر من أقوى

[1] مصطفى صادق الرافعي، رسائل الأحزان، المصدر السابق، ص63 .

[2] عباس محمود العقاد، هذه الشجرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، د، ط، د، ت المجلد 12، ص 177.

[3] صلاح الدين المنجد، جمال المرأة عند العرب، دون دار نشر، بيروت لبنان، د، ط،1957، ص 7.

الحواس عند الإنسان وهي البصر، فتصل إلى قلبه الذي يفهم معناه الحقيقي فيقول: " إذ أكتب عن نظرتك السحرية، التي أجد لها في قلبي معرض فن كامل من صور المعاني الجميلة، فإن نظرة الحب تقع موقعها في العين، وحقيقة معناها في القلب، كأختها قبلة الحب: هي في الفم وحلاوة طعمها في الفكر" [1]. والرافعي ينظر في فهمه للجمال إلى ناحيتين: " حُسنه في ذاته، وحُسنه في خياله الذي يجعله أسمى من ذاته") . والرافعي يتخذ من جمال العيون بعدا آخر، ليثبت مفهومه للجمال الحسي في أذهاننا، من خلال إقراره ب" لغة العيون " التي هي إشارات وحركات مرسلة، فهي تنطق وتتكلم، ولكن بغير صوت فنجده يقول: " ونظرات من عين ساجية ساكنة الطرف، كأنها تقول لي: إن نظاراتي إليك بعض أفكاري فيك! "[2]

وبهذا يكون الجمال عند الرافعي على مقدار ما يحسن الإنسان أن يفهم منه، ثم على مقدار ما يؤثر من هذا الفهم، ثم على مقدار ما يثبت من هذا التأثير، وتلك هي درجاته الثلاث، فجمال تستحسنه، وآخر تعشقه، وجمال تجن به جنونا[3]

ب/ جمال الطبيعة :

الرافعي كغيره من الأدباء لم يُخلِّ أدبه من وصف الطبيعة الفتان، فهي جميلة بنظره، بل هي فوق أن تكون جميلة، فالمحسوسات " في الطبيعة إذا أدركها الحس حصل عنها لجماله الخاص به ثم تبعته لذة، أما غير الطبيعية فهي إذا أَحَسَّت حصل عنها للحس نقيضه ثم يتبعها بعد ذلك أذى".[4]

و ادراكنا للعلاقات الجمالية في أي عمل جميل، قائم على أن الجمال غاية مدركة في موضوعه، ولدى الرافعي ما يضيفه من مشاكل وأحاسيس، اتجاه الطبيعة والكون، مجسدا بذلك فهمه للجمال الحسي اتجاهها، فتتولد لديه من خلال مشاهدته للطبيعة والكون أفكارا تنعكس على فهمه للجمال،

[1] الرافعي، رسائل الأحزان، المصدر السابق، ص 70.
[2] المصدر نفسه، ص 72.
[3] المصدر نفسه، ص 136.
[4] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

فأحب الرافعي القمر وأعطاه حيزا واسعا في أدبه، مثل حجمه الطبيعي والجميل في الكون، فوهب له كل حواسه وفكره وعقله، بل أسلم كل كيانه، فاستسلم له القمر وأعطاه كل ما اراده من مناظر جميلة وأفكار، يصل بها إلى حبيبته أو عواطف ينبغي التعبير عنها، فبدأ يرى فيه آفاق الأمل، فيشاركه دموعه وأحزانه ويخفف عنه الألم بضيائه المشرق ونوره الساطع في ظلام الليل، ولولاه لأصبحت الحياة كلها مظلمة، فالقمر يثير في النفس مشاعر ومعاني لا حصر لها يثير بها مشاعر الطفولة التي تحبو، ويثير فيها معاني الأمل في مستقبل بسام وضيء، ويثير فيها شعورا يجدد الحياة، وقد يثير فيها إحساسا ما بعد احساس.

ويرى الرافعي في جمال بريقه الفضي جسد الحبيبة فتطغى هنا الصورة اللونية على حاسة بصره، ليعمق من خلالها إحساسه بالجمال فيقول: " فأنت جميل جمال الجسم البَضّ العاري، تكاد تشبه صدر الحبيبة كشفت أعلاه فظهر في بريق الفضة المجلوة[1].

واستطاع الرافعي من خلال فهمه للجمال الحسي، أن يمزج بين جمال الطبيعة والمرأة مزجا حسيا يدل على تأثير حاسة البصر في فهمه للجمال، فيقول: " أتذكر، وقد رأيتك ثمّ ة قريبا من الحبيبة تصبّ عليها النور، حتى خُيلَ إليّ أنها إحدى الحور العين متكئة في جنتها على رفرف خضر، وقد وقف لخدمتها القمر[2].

ومفهوم الجمال الحسي للطبيعة، لا يتوقف عند وصف المظاهر الخارجية، بل يتعدى ذلك المفهوم المتعارف عليه، فالقمر يشاركه أفراحه وأحزانه، فالطبيعة في نظره تضحك وتبكي، إذ أضفى عليها صورة حركية، وهي صورة الدموع التي تذرفها العيون النجلاء، ويجمع الرافعي بتلك الصورة بين جمال الطبيعة وجمال المرأة.

[1] عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، القاهرة مصر، ط 8، 1977، ص 105.

[2] مصطفى صادق الرافعي، رسائل الأحزان، المصدر السابق، ص 66.

2- الجمال المعنوي الروحي عند الرافعي

أ/ الحب والجمال

الجمال الذي أفاضه الله على الإنسان لا يقتصر على الجمال الحسي، بل أيضا الجمال الروحي لأنه نابع من النفس، فجمال الروح " الجمال الباطن " هو الغاية، وهو يرتفع عن المادة والحس ليسمو إلى الرؤيا المطلقة للجمال الخالد الخالي من القبح. والرافعي يتذوق الجمال ذاته ويعترف بالقيمة الجمالية المطلقة، حين يتطلع الإنسان إلى عالم الروح الذي يتمثل فيه الجمال والكمال والخلود. يرى الرافعي أن الجمال الحسي يصل بنا إلى الجمال الروحي، إذ ليس كل ماتراه فتعجب به يرضيك، ولكن كل ما يرضيك يعجبك، فالجمال المحسوس الوصفي يقاس بالنظر ويخرج منه الفكر بنسبة هندسية وهو جمال صحيح، ولكنه كالقصر المشيد ظاهرة وشكله الخارجي جميل، لكنه لا يرضي الفقير، والذي يرضي الإنسان الجمال الروحي الذي يعجب ويرضى به، كونه الجمال الحقيقي لا الخيال. إن الجمال المعنوي له تأثير في نفس الأديب من خلال قيم الجمال، وكذلك فضائل الصفات والخصال التي أعز الله بها المرأة، وأعلى من شأنها، فالأديب نصف معطيات الجمال وما تركه الجمال من أثر في نفسه. وعلم الجمال عند الرافعي يؤدي وظيفة مهمة وكبيرة فهو علم تجديد النفس لأن الجميل الذي لا يجدد بمعانيه حواس الإنسان الآخر وعواطفه ويعيدها غضة طرية، كما فطرت من قبل لا يسمى جميلا، إلا على هذا المجاز، ولا شك في أن الجمال الذي ينشده الرافعي هو الجمال المعنوي، وهو الأسمى والأرق والأبقى، فيقول: " هذا الحب إلا فكر الجمال وأثر عمله في النفس". ويصبح الجمال له حقيقة هو علم افراح النفس وأحزانها[1].

فنظرةُ الرافعي الى الجمال نقلته من الحسية الى المثالية، المرأة والطبيعة مصدران يستمد منهما موضوعي الحب والجمال، ويقيم عليها فلسفته الجمالية، والجمال الحسي عنده يصل بالإنسان إلى الجمال الروحي فتتحقق العبودية لله وحده، في حين أن الجمال له قيمة خلقية ويتوافق مع الخير ومع

[1] مصطفى صادق الرافعي، رسائل الأحزان، المصدر السابق، ص 124.

المنفعة على هذا الأساس بحسب رأي الكلاسيكيين [1]، فالأدب المثالي يتمثل عندهم بانتصار الحق على الباطل، والخير على الشر، والواجب على العاطفة والفضيلة على الرذيلة. ويرى الكلاسيكيون أن الجمال واحد لا يتغير في كل زمان ومكان، والحقيقة لها قيمة في الجمال على أساس أن تكون ممتعة، وهم يتسامون عن الأمور المنحطة في الطبيعة، فما يعالجونه من موضوعات ينبغي أن يبعث في النفس اشراقا، ويؤصل قيما خلقية، وقيما جمالية على عكس ما أصلته رؤيا الرومانسيين والواقعيين فيما بعد. والذي يتصفح كتاب الرافعي (رسائل الأحزان) فسيجد أنه نظر إلى الجمال الروحي والحقيقي من خلال استيعابه لجمال كل ما يحس به، ويرجعه إلى الخالق سبحانه وتعالى، فلذلك وجدناه يستلهم كلا من الحب والمرأة والطبيعة والأشياء الأخرى في الكون لتثبت مفهومه للجمال الروحي لا لذاته، بل بقوة سماوية تعمل عملها لتبدع من الإنسانية شعارا أسمى من حقائها.[2]

نستخلص أن الحب في نظر الرافعي شيء آخر غير الحب الذي يفهمه كثير من معاصريه، فالحب هو حيلة النفس إلى السمو والاشراغ والوصول إلى الشاطئ المجهول هو نافذة تطل منها البشرية على غاياته العليا، وآمالها في الإنسانية السامية، فالحب إحدى كلمتين هما ميراث الإنسانية، وهدية التاريخ، والصرافان اللذان تلتقي عندهما السماء بالأرض. كما أن الرافعي ساعدته العزلة التي فرضها عليها عاهة الصم، وميل فكري نحو العالم الروحي والمثالي، وما نشأ من ذلك الميل من إشادة بالعاطفة، وتمجيد للوجدان، فوضع الرافعي في طليعة تيار أدبي ثالث يقف وسطا بين تيار المحافظين والمجددين، وكان حريصا في إبداعه الأدبي على الالتزام بمنطق العصر من جهة، والالتزام بالمضامين الإنسانية والقيم الجمالية من جهة أخرى.

[1] جبور عبد النور، المعجم الأدبي، بدون دار نشر، بيروت لبنان، ط 1، 1979 م، ص163.

[2] مصطفى صادق الرافعي، رسائل الأحزان، المصدر السابق، ص 126.

المبحث الرابع : السحاب الأحمر

السحاب الأحمر" كتاب يجمع بين جمال الكلمة ورنين العبارة، بلغة الماضي الصافية كالحق المنزهة عن الريب كالواقع، يعبر كاتبه عن مشاعره وأحاسيسه، على صفحات كتابه مرآة نفسه، بقلم يئن في يديه وكلامٍ يَحنّ لديه.

الكتاب –وهو في تسعة فصول– بمضمونه العام مجموعة مقالات في المرأة وحبها وبغضها ولؤمها ولكن بعض هذه المقالات اتخذ صفة الحكاية القصصية وبعضها تأملات وخواطر في الحب والمرأة عدّه بعضهم تكملة لكتاب رسائل الأحزان بينما رأى فيه بعضهم كتابا مختلفا لا يكمل الأول لكني أرى فيه تتمة للحديث عن الحب والمرأة كما في الرسائل .. حتى أن الرافعي رحمه الله يقول في مقدمة الطبعة الأولى لكتابه السحاب الأحمر:

لما كتبت رسائل الأحزان في فلسفة الجمال والحب كنت في تدبيره والرأي فيه كمن يؤرخ عهدا من شبابه بعد أن رقّت سنّه وذهب يقينه من الدنيا ولم يبق إلا ظنه فهو يكتب والكلام يحن لديه والقلم يئن في يديه وكل وصف جاء به من الشباب قال رحمة الله عليه كنت أستوحي الرسائل من تلك النفس التي طارت بي طيرتها البطيء وقوعها فإني لأستعر بها فكرا واشتعل منها خيالا، وكنت لأرى الفصول تخلص من يدي حين اكتبها كما تخلص سبائك الذهب بعناصرها لا بالصناع وكأن هذا القلم كالحديد إذا أحْمِي عليه ليست يد لمسته من أيدي المعاني إلا وضع فيها سمة النار[1].

ثم جاء الكتاب وما أكاد أصدق أن الزمن مرّ به وتم قبل أن يُتم القمر دورة شهر واحد فنبهني ذلك إلى أن استوفي الكلام في الحب استمدادا من أرواح أخرى، فوضعت هذا السحاب الأحمر[2].

ثم يقول في ختام المقدمة:

والناس في هذا الحب أصناف فواحد يجاهد زلات قد وقعت وهو المحب الآثم..

[1] مصطفى صادق الرافعي، السحاب الأحمر ، المصدر السابق، ص7.

[2] المصدر نفسه ، ص 8.

وآخر يجاهد شهوات تهمّ أن تقع وهو المحب الممتحن..

وثالث أمن هذه وهذه وإنما يجاهد خطرات الفكر وهو المحب ليحب فقط..

ورابع كالقرابة والصديق عجز الناس أن يجدوا في لغاتهم لفظا يلبس هذه العاطفة فيهم فألحقوها بأدنى الأشياء إليها في المعنى وهو الحب..

وعلى الثالث وحده بنيت رسائل الأحزان.. وعلى بعض الرأي في الباقيات كسرت هذا الكتاب.

مراجعة عامة ل – السحاب الأحمر –

كانت «رسائل الأحزان» هي أول ما بين الرافعي وصاحبته بعد القطيعة؛ كتبها وأنفذها إليها بين دفتي كتاب، لتقرأ فتعلم من حاله ومن خبره ما يريد أن تعلم؛ كَتَبَ هذا الكتاب تُرى ماذا كتبت إليه صاحبتُه بعدما قرأت «رسائل الأحزان» فأثارتْ نفسه بعد هَدْأتها وردَّته من الغيظ والحنق إلى أن يقول: "يا هذه لا أدري ما تقولين: ولكن الحقيقة التي أعرفها أن نفس المرأة إذا اتسختْ كان كلامها في حاجة إلى يُغسَل بالماء والصابون ،وهيهات...!".

ويقول: يجب على المدارس حين تعلِّم الفتاة كيف تتكلم أن تعلِّمها أيضاً كيف تسكت عن بعض كلامها!». مَن لي بان أعرِف ما كان وقع «رسائل الأحزان» في نفسها ما ردَّتْ عليه؟

إنه يتحدث في «السحاب الأحمر» عن التهمة والظنون، والكلام الذي لا يغسله الماءُ [1] والصابون، والنجمةِ الهاوية؛ وخداع النظر في الحب، وفساد الرأي في الهوى، وطيش القلب الاستسلام، ثم يحاول أن يعتذر هنا الحلقة المفقودة في تار يخ هذا الحب؛ فلست أدّعي المعرفة؛ ولقد كنتُ مع الرافعي مرة في مكتبه وبيننا هذا الكتاب يقرأ لي بعض فصوله؛ فاستمهلتُه عند فقرةٍ مما يقرأ ليجيبني عن سؤال يكشف عن شيء من خبرها ومن خبره؛ فوضع الكتاب إلى جانبه وحدَّق فيَّ

[1] مصطفى صادق الرافعي، السحاب الأحمر ، المصدر السابق، ص 5 .

طويلاً، ثم سكت، وسبحت خواطره إلى عالم بعيد، وراحت أصابعه تعبث بما على المكتب من أشيائه، ثم قال: «أرايت القلم الذي تراءى لي السحاب الأحمر في نصابه بين عينيَّ والمصباح» ثم دسَّ يده في درج المكتب فأخرجه ودفعه إليَّ وهو يقول: «ضع النصا بين عينيك والمصباح وانظر. ألست ترى سحابا يترقرق بالدم كأن قلباً جريحاً ينزف؟...في شعاعة هذا النور تراءتْ لي هذه الخواطر التي تقرؤها في السحاب الأحمر...»ثم عاد إلى الصمت ولم أعد إلى السؤال

أحسب أن الرافعي حين أنشأ «السحاب الأحمر»، كان في حالة عصبية قلقة لست أعرف مَأتاها؛ ولكن فصول الكتاب تتحدث عن خبرها في شيء من الغموض والإبهام.

لقد أنشأ الرافعي «رسائل الأحزان» ليكون رسالته إليها يتحدث فيها عن حبه وآلامه، ولست أشك أن صاحبته حين تأدَّت إليها رسائله قد فهمت ما يعنيه وعرفت ذات صدره؛ وأحسبها وهي الاديبة الشاعرة–قد سرَّها أن تكون في فَلَكَ الوحي لما في «رسائل الأحزان» من كل معنى جميل. أفتراها قد بدا لها تهيجه بالدلال والإغراء وقسوة العتب وتصنُّع الغضب لتفتنه وتزيده وحياً وشعرً وحكمة..؟

إن كان هذا جوابها على رسائل الأحزان فما أَراها قد بلغت به إلا أن هاجت كبرياءَه وأثارت نفسه، فكتب هذا الكتاب ولكن ما أرادته وما قصدت إليه.

يقوم «السحاب الأحمر» على سبب واحد، حول فلسفة الغض، وطيش الحب ،ولؤم المرأة على أن كل ما فيه لا يشير إلا لمعنى واحد: هو أن قلباً وقع في أسر الحب يحاول الفكاك فلا يستطيعه؛ فما يملك إلا أن يصيح بملء فمه: إنني أبغضك ...أيتها المحبوبة وكما يفزع الشخص–إذا حَزَبه أمرُه– إلى أصدقائه يستعينهم ويستلهمهم الرأي في بلواه[1]، كذلك فزع الرافعي في «السحاب الأحمر» ولكن إلى اصدقاء من غير عالمه يستعينهم على أمره؛ فهذا صديقه الشيخ صاحب "المساكين"، وهذا صفيُّه وصاحب نشأته أحمد الرافعي، وذلك أستاذه ومثله العالي في دينه الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده،

[1] مصطفى صادق الرافعي، السحاب الأحمر ، المصدر السابق، ص 6.

وهذه أم ضلَّ ولداها الحبيبان، وتلك زوج يفرقها زوجها الحبيب إلى السجن؛ وهذا، وهذه، وتلك، يحدثونه جميعاً حديثهم عن الحب في رأي العين وفي رأي القلب وفي رأي العقل ،ويحدثهم حديثه...فهذا تلمح من أحاديث هؤلاء جميعاً إلا أن في جهاد عنيف بين قلبه وعقله ،يريد أن يثبت الغلبةَ لعقله على هواه ليخرج من أمر صاحبته برأيه وفكره، وكبريائه!

على أن هذا الكتاب ليس كله خالصاً لصاحبته(فلانة)وإن يكن من وحيها، ذلك لأن نسقه العجيب ومحاولةَ الرافعي به أن ينصرف عنها، وقد نَهَجَ له في الكتاب مسالك من القول لم تكن مما يقتضيه ما بينه وبين صاحبته.

في **الفصل الاول** من «السحاب الأحمر»، يتحدث المؤلف عن قناة" عرفها قديماً في ربوة من لبنان، وينتهي الوصفُ إلى جمالها ثم يقف!" وهو يعني صاحبته التي أمْلتْ عليه «حديث القمر» وإنك لتقرأ حديثه عنها ،ووصفَه لها، وما كان من أثرها في نفسه ،فتسأل نفسك: أيَّ شيء ردَّه إلى هذه الذكرى البعيدة فأيقظها في نفسه بعد اثنتي عشر سنة محا الزمان بها قلبه وأثبت؟ فلا تلبث أن تجد الجواب في الأسطر الأخيرة من هذا الفصل:[1]

«إن من النساء ما يُفهَم ثم يعلو في معانيه الجميلة إلى أن يمتنع، ومن النساءِ ما يُفهَم ثم يَسفل في معانيه الخسيسة إلى أن يُبتذل..»

«إن من المرأة ما يُحَب إلى أن يلتحق بالإيمان، ومن المرأة ما يُكره إلى ان يلتحق بالكفر...».

«من المرأة حلو لذيذ يؤكل منه بلا شبع، ومن المرأة مرٌّ كريه يُشبَع منه بلا اكل ...».

أتراه بهذا يوازن بين واحدة وواحدة، ليقول لهذه: إن تلك كانت خيراً منك؟ وهل تحسبه كان يعتقد ذلك؟ أما أنا فأعرف أن هذا معنى لم يكن يعنيه، ولكنه مساومه في الحب يريد بها أن يهيج

[1] مصطفى صادق الرافعي، السحاب الأحمر ، المصدر السابق، ص 7.

غيرة صاحبته ليردها إليه، و انه اراد أن ينقذ كبرياءه فيزعم لصاحبته أن لم يكن يعنيها بما كتَبَ، لأن هنالك أخرى.

وتقرأ «النجمة الهاوية» في الفصل **الثاني** فتسمعه يقول "تتم آمالنا حين لا نؤمّل!" فما تشك أن هناك رسالةً إليها. رسالةً يمليها الحبُّ المغيظ المحنَق، يحاول فيها أن يوهمها أنها ليست شيئاً [1]في نفسه وأنه قد تمّت آماله واستراحت نفسه فليس فيها أمل ولا يتعلق بها رجاء. ثم يستطرد في معاني البغض والهجر والقطيعة بأسلوب قاس وعنيف، ولكن قلبه العاشق المفتون ينبض في كلماته؛ فما ينتهي الفصل حتى يستعلن حبُّه من وراء كلمات البغض وهو يقول: "أشأم لنساء على نفسها من لا تُحِب ولا تُبغِض، وأشأمهنّ على الناس من إذا عَدَّتْ مبغضيها لا تَعُدُّ إلا الذين أحبُّوها..."فهل ترى ترجمة هذه العبارة إلا أنه يقول: «إنني أحبك يا أشأم النساء»؟

اقرأ في آخر هذا الفصل الصاخب قوله:

يا مَن على الحب ينسانا ونذكره

ولسوف تذكرنا يوماً وننساكا

إن الظلام الذي يجلوك يا قمرٌ

له صباح متى تدركه أخفاكا؟

ويتحدث في الفصل **الثالث** عن السجين تحمله عربة السجناء إلى أجَلِه وزوجُهُ التي تحبه تشيعه بنظراتها الجازعة، فتعرف من وصفه لساعة الفراق بين الزوجين الحبيبين أيُّ خاطرة في الحب ألهمتْه هذا الفصل البديع، وكأنك تسمعه يتحدث فيه عن نفسه مما فعل به الفراق إذ يتحدث عن هذين الزوجين اللذين فرق بينهما الموتُ الموقوت!

[1] مصطفى صادق الرافعي، السحاب الأحمر ، المصدر السابق، ص 7.

ويتحدث في الفصلين **الرابع والخامس** عن تجارة الحب، وعن المنافق؛ فتلمح من وراء حديثه معنى لا يريد أن يفصح عنه ؛إنه لسبب مما كان بينه وبين صاحبته؛ أفَتُراه يشير به إلى شيء من أسباب القطيعة

وفي الفصل **السادس** يتحدث عن حب الأمّ في قصة والدة ضلّ ولداها الصغيران ثم اهتدت إليهما؛ فيوازن بيم حُبّ وحُبّ، وعاطفة وعاطفة؛ وينتهي إلى أن يقول:

"وهكذا الرجل :أغواه الشيطان في السماء بثمرة، فنسي الله حيناً؛ ويغويه الحب في الارض بثمرة أخرى، فينسى معها الأم أحياناً"!.

وتراه في الفصول **الثلاثة الباقية** كأنما يحاول أن يروض نفسه على السلوان ويقنعها بأن الحب ليس هو رجولة الرجل وليس هو إنسانية الإنسان ،وليس هو كلّ ما في الحياة من لذة عبده، يحاورهم ويحاورونه، فتستمع في هذا الحوار إلى النجوى بينه وبين نفسه، وإلى الصراع بين عقله وهواه.

إن الرافعي بكبريائه وخلقه ودينه واعتداده بنفسه لم يُخلق للحب! ولكنه أحب؛ فمن ذلك كان حبه سلسلة من الآلام ،وصراعاً دائماً بين طبيعته التي هو بها هو، وفطرِته التي هو بها إنسان وإنك لتلمح هذا الصراع الدائم في كل فصل من فصول السحاب الأحمر. .[1]

وفي هذا الكتاب تقرأ رأي الرافعي في القضاء والقدر، وإنه ليُشعرك برأيه هذا مقدارَ ما فعل به الحب وما فَلَّ من إراداته؛ فتراه يؤمن بأن الإنسان في دنياه ليس له اختيارٌ فيما يعمل، ولكنه قضاءٌ مقدور عليه منذ الأزل لا طاقة له على الفكاك منه، وإنه على ذلك لموقنٌ بأن لِله حكمة فيم قضى وقدَّر وإن دقت حكمتُه على الأفهام:

«ألا يا ماء البحر، ما أنت على أرض من الملح ؛فبماذا أصبحت زعافاً لا تحلو ولا تُساغ ولا تشرَب؟ إنك لست على أرض من الملح ولكنك يا ماء البحر ذابت فيك الحِكمةُ المِلْحَة...!

[1] مصطفى صادق الرافعي، السحاب الأحمر ، المصدر السابق، ص 10.

قلت فيما صدَّرتُ به كتاب «رسائل الأحزان »إنه عند أكثر قراء العربية شيءٌ من البيان المصنوع تَكلفه كاتبُه يحاول به أن يستحدث فناً في العربية لم يوفق إلى تجويده...لأنه بقية قصة لم تُنْشَر معه وأقول هنا إن «السحاب الأحمر» كتاب كامل؛ احذفْ من فصلاً أو فصلين في أوله، وشيئاً من فصول القول في سائره، تجدْ فّنّاً في العربية لا يقدر عليه إلا الرافعي؛ فجرِّده من قصته أو انسبْه إليها، فإنك واجدٌ أدباً يستحق الخلود، وبياناً يُزهَى على البيان، وشعراً وحكمة مازال الأدباء يدورون عليهما حتى وجدوهما في أدب الرافعي.

وختما يمكننا القول باختصار أن في «رسائل الأحزان» أراد الرافعي أن يعرف صاحبتُه من حاله ومن خبره ما أراد! فأغراها بالترفُّع والدلال؛ وفي «السحاب الأحمر» حاول أن يشعرها أنه قد فرغ من أمرها وفرغت من أمره، فما لها عنده إلا البغضُ والإهمال، وماله عندها إلا اللهفةُ على ما كان من أيامه، أفتُراه هنا قد بلغ ما أراد.

استمع إليه يحاول أن يهيج فيها الغيرة واللهفة ويوقظ الحنين ويؤرث البغضاء ويثير الندم؛ فلا يكاد يبلغ آخر الرسالة حتى ينسى ما قصد إليه ليدع لقلبه أن يقول :

ويلي على متدلّل ما تنقضي عنّي فنونُه!

كيف السلوّ وفي فؤا دي لا تفارقني عيونُهُ؟ [1]

[1] مصطفى صادق الرافعي، السحاب الأحمر ، المصدر السابق، ص 9.

الفصل الثالث:

الاتجاهات الفنية لخواطر الرافعي

ينتج الفن من إحساسنا بالحياة فيكون ذلك الإنتاج الثقافي والفني بمثابة الترياق الذي يسير في دم المتشوق للمادة الفنية، ولعل الهدف دائما هو الارتقاء الثقافي إلى مستوى مدركات ومتطلبات العصر، ما يعطي ويلبي حاجة الإنسان الفكرية والمادية وحتى الروحية، فقد يرتبط الفن بذات الإنسان بصفة مباشرة، وقد تتعلق به روحه .

وعند الحديث عن الاتجاهات الفنية لأي كاتب أو شاعر أو مؤلف لابد من الحديث عن المدارس الفنية لاسيما التي ينتمي لها، وليس الكلام عن المدارس الفنية من باب المفاضلة بين مدرسة فنية وأخرى ، ما دام الموضوع هو الإنسان، فلكل جواد كبوة ولكل نجاح خسارة، ولكل بداية نهاية، والفن حداثة قد تكون مطلقة وقد تحكمها النسبية .

فتختلف هذه الاتجاهات باختلاف المدارس، وربما باختلاف الأمم، وربما باختلاف الزمان والمكان ففي الأصل أن الحداثة ابتكار للأساليب الجديدة فليس كل فن جديد حداثة، وليست هي الصفة الدائمة، وإنما هي ما يتكيف مع ظروف الإنسان .

ومن خلال هذا الفصل سنتطرق للاتجاهات التي سلكها الرافعي في خواطره وكتاباته، حيث أننا تطرقنا من خلال المبحث الأول للرومانسية في خواطره، وكما هو معلوم بأن الرافعي له فلسفة خاصة بالحب والجمال، ومن خلال المبحث الثاني تطرقنا للرمزية في خواطره وهذا ما يشتهر به .

المبحث الأول : الرومانسية في خواطر الرافعي

هناك نوعان من العمل الأدبي نطلق عليهما لفظ " المقالة " وهما يتشابهان في الظاهر ويختلفان في الحقيقة .

فإحداهما انفعالية والأخرى تقريرية ولعل الأنسب أن نفرق بينهما في الاسم بدل أن نفرق بينهما في الوصف، فالنوع الأول نطلق عليه لفظ المقالة، والنوع الثاني نطلق عليه " الخاطرة، وعند الحديث عن النثر نجد هذه الأخيرة تقابل القصيدة الغنائية في الشعر، وتؤدي وظيفتها في عرض التجارب الشعورية التي تناسبها [1].

وقد تناول الكاتب الكبير مصطفى صادق الرافعي من خلال كتابه (أوراق الورد) مجموعة من الخواطر نذكر منها على سبيل المثال خاطرة هدية شتم " **في الحب يتكلم قلب المرأة العاشقة بمنطق فصيح من إعمالها، فأعمالها عندها على طريق اللغة والتعبير قبل أن تكون لعلة أخرى من العلل، فإذا أتت حملتها على ظاهرها وكنت المقصود بها فقد جزت بها عن طريقها وأخطأت سحرها وجمالها، بل تكون قد أهنتها، وابتذلت المعنى السامي المخبوء لك فيها ليكون لك وحدك** "[2]، الملاحظ أن الكاتب تحدث في هذا الجزء المقتضب من الرواية عن فلسفة الحب، وذلك من خلال مجموعة من الرسائل المتبادلة بين محب ومحبوبته، وتعرض هذه الرسائل عدد من الموضوعات مثل الفلسفة والصوفية والحب والاشتياق، وقد استخدام الرافعي لغة ساحرة لوصف هذه المشاعر المؤثرة .

[1] سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، مصر ،2003، ط8، ص 105 .

[2] محمود صادق الرافعي، أوراق الورد، المصدر السابق ،ص 143 .

ومما هو معلوم بأن الرافعي من النقاد مصطفى صادق الرافعي من أهم النقاد البارزين الذين اهتموا بإحياء التراث العربي القديم [1]، ومن خلال ذلك نلمس النزعة الرومانسية التي اعتمد عليها الكاتب في خواطره وكتاباته .

1 – مفهوم الرومانسية :

تعدد معنى الرومانسية واختلف من كاتب لأخر ومن شاعر لغيره، حيث عرفها الناقد الألماني شيلينغ قائلا " **إنها الفن الذي يكشف في صورة وبواسطة الحدس الفني الأفكار المطلقة الكامنة في أساس الواقع والقادر شكل أعمق من العقل الإنساني المحدود على اكتشاف معرفة العالم المحيط بما** "[2]، وما يمكن قوله هو أن المصطلح لم يكن واضحا وذو دلالة، حيث كان يعني القصص الخيالة، وأحيانا التصوير المثير للانفعال، وتارة ما يتصل بالفروسية والمغامرة والحب وتارة أخرى المنحى العفوي، أو الأدب المكتوب الشعبي أو الخروج عن المعايير المتعارف عليها، أو الأدب المكتوب بلغات محلية غير اللغات القديمة، كالفرنسية والايطالية والبرتغالية والاسبانية [3] .

ولقد ساعدت الرومانسية بشكل كبير في نشر الأدب العربي الحديث، وأمدته بمجموعة من الآليات المختلفة حتى أصبح المذهب الرومانسي الأكثر قربا للأدب من غيرها من المذاهب الأخرى، لذلك قال ابن عباس في كتابه " **إن الرومنطيقية قد مدت خيوطها في جهات متعددة، فلم تسلم من تأثيرها المدرسة الكلاسيكية الجديدة التي بدأها شوقي واحتفظ بها بمميزاتها الأصلية أمثال الأخطل الصغير أمين نحلة وامتدت أصابعها إلى عالم القصة عند المنفلوطي** " [4].

---

[1] محمد الأخضر زبادية، منهج الرافعي النقدي بين القديم والجديد، مجلة الإحياء، ع 2، ص 321 .

[2] ياسين الأيوبي، مذاهب الأدب: معالم وانعكاسات ، الجزء الثاني: الرمزية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1982 ،ص 21

[3] محمد غنيمي هلال، الرومنتيكية، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، دط، دت، ص6 .

[4] الشاذلي الفلاح، المرجع السابق، ص 143 .

وعليه فالرومانسية منهج فني من الفن الأوربي، حل محل المذهب الكلاسيكي في عشرينيات وثلاثينيات القرن التاسع عشر، وقد نشأ على مصدرين مختلفين هما حركة تحرير الشعوب التي أيقظتها الثورة الفرنسية والإحباط الذي قاسته دوائر اجتماعية واسعة لنتائج القرن الثامن عشر[1] .

ولعل الكلمات رومانسي أو رومانتيكي أو إبداعي، ذات دلالة لغوية متشابهة، وهي صفة تطلق على كل ما يتعلق بالنزعة الأدبية التي عاشت من أواخر القرن الثامن عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر، وكانت تبرز الخيال الإبداعي والتعبير الذاتي والولع بالطبيعة موضوعا للأدب ومعيارا لجودته [2] .

2 – خصائص المذهب الرومانسي :

من خلال قراءة كتابات رواد المنهج الرومانسي العربي نقع عند مجموعة من الخصائص من بينها ما يلي :

-اللون المحلي : والمقصود هو أن لا نبحث في طبيعة الإنسان كجنس، إنما نبحث فيه كنوع محلي مختلف من جهة لأخرى [3] .

-النغمة الخطابية : هو مزيج من الحزن والشكوى والألم والحرمان والشوق والحنين والتبرم من الماضي .

-حرية التعبير : حيث لا قيود من جانب اللغة والشكل .

-مرض العصر : وهو مصطلح أطلقه الرومانسيون على عدم القدرة على التفريق بين القدرة والأمل، فيتعب الإنسان بسبب ذلك .

[1] محمد غنيمي هلال، المرجع السابق، ص4 .

[2] مجدي وهبه وكامل المهندس، معجم المصطلحات في اللغة والآداب، مكتبة لبنان ،لبنان، 1984، ط 190.

[3] نجيب الكلاني، الإسلاميّة والمذاهب الأدبيّة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4،1922، ص1112.

3 – صور الرومانسية في خواطر الرافعي :

بعد التعرض لمفهوم الرومانسية وأخذ لمحة بسيطة عن المذهب الرومانسي وكذلك معرفة خصائصه للتمييز بين هذا النوع من الكتابات الأخرى، يبقى أن نبحث في صور الرومانسية في خواطر مصطفى صادق الرافعي وهذا ما سنتطرق إليه في هذا الجزء .

من خلال خواطر الكاتب الرافعي يظهر ومن خلال عناوين كتاباته التأثر بالرومانسية وإبراز خصائصها وهذا ما يظهر جليا في الوهلة الأولى التي يطالع فيها القارئ تلك الخواطر، ومن بين ما كتب " **وما أشبهها بالشمس وهذه المسبة منها كالغيم أثقله الماء فإذا الشعاع على قطراته رأيت فن الشمس لا فن الغيم، وإذا قوس قزح في سبعة ألوان جميلة زاهية يذوب بعضها في بعض تبرا ولجينا وجواهر شتى** "[1].

وقال أيضا وهو يتحدث عن الكبرياء والعزة " **أظالمني أنت فتعرف لي ذلا بعد عزة، وتصف لي خضوعا بعد كبرياء ولا تضع بإزائي في ميزان قلبك إلا المعاني الثقيلة التي تلقيها تزن بها ما تكره لكي تملأ نفسك منه بغضا وكراهة ؟**

كلا يا صديقتي .. إنما تتحولين لأجد منك معنى جديدا في نفسي، فكأنك تخرجين مني رجلا في الربيع ورجلا في الشتاء، وكأني أعرف بك كيف أتحول في بعض معاني الحياة من نسيم إلى عاصفة "[2].

حيث وقف الكاتب يسأل والظاهر أن نفسيته أصابها نوع من الحزن والحسرة، لتجيبه من كان يخاطبها جواباً فيه شفاء وراحة له، حيث برزت في جوابها ملامح المحبة والتسامح، بعد حزن أصاب

[1] محمود مصطفى الرافعي، أوراق الورد، المصدر السابق، ص 144 .
[2] المصدر نفسه، ص 156 .

الكاتب في البداية ولعل هذا من أبرز خصائص الرومانسية، فالخاطرة مجرد لمحة وليس فكرة تعرض من كل الوجوه [1] .

كما كتب الرافعي عن الألم فقال " **ما أشد على قلبي المتألم أن لا يأخذ بصري من الناس إلا من يتدحرج في نفسي ليهوي منها أو يتقلب في أجفاني** " [2]، وهنا إشارة منه على حجم الثقل الذي يعيشه .

وكتب أيضا عن الندم والحسرة فقال " **فما ندري يا سيدتي وقد أحببناك أنعدك في ذنوب الزمان أم في أعذاره وهل نأخذك في الحب من وقائعه أم في الجفاء من أخباره ؟، فإن أبين أن تكوني منا إلا كالسماء من أرضها، وأن نكون منك إلا كالسنة من فرضها**" [3].

ويعرف الرافعي بأنه من مؤسسي فلسفة الحب والجمال، فكان كتابه رسالة الأحزان في فلسفة الجمال والحب جامعا لأفكاره وخواطره، حيث عرض الكاتب فلسفته من خلال رسائل متنوعة، تجعل القارئ يبحث عن إجابات بدون أسئلة، وما يثير الانتباه أيضا هو عناوينه التي تتميز بنبرة الحزن والحنين، فنجده يقول في العتاب، في الطيف، هدية شتم ...إلخ .

وبعد ذلك الكتاب قال " **لما كتبت رسائل الأحزان في فلسفة الجمال والحب كنت في تدبيره، والرأي فيه كمن يؤرخ عهدا من شبابه بعد أن رقت سنة وذهب يقينه في الدنيا ولم يبق إلا ظنه فهو يكتب والكلام يحن لديه والقلم يئن بين يديه وكل وصف جاء به من الشباب قال رحمة الله عليه وكنت أتعلق بأطراف اللغة التي فرت من الحياة معانيها، وذهب نورها وظلامها في أيامها ولياليها، فكان قلمي هو الذي يكتبها ولكن قلبي هو الذي يمليها** "[4]، ما يعكس الرمزية أيضا في كتاباته .

---

[1] عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه ،دار الفكر العربي، مصر، 2013، ص 168 .

[2] محمود صادق الرافعي، رسائل الأحزان، المصدر السابق، ص13 .

[3] محمود صادق الرافعي، أوراق الورد، المصدر السابق، ص167 .

[4] محمود صادق الرافعي، السحاب الأحمر، المصدر السابق، ص 9 .

وتحدث عبد العزيز المقالح عن الرافعي في كتابه وقال " **حين أعود اليوم وبعد ما يقارب الثلاثين عاما ، إلى كتابات الرافعي أجد بين نفسي وبينها من المودة ومن الإعجاب ما يغفر لي حماسة الخامسة عشرة والسادسة عشرة من العمر، فالرافعي الذي استطاع ان يحتفظ لنفسه في بداية حركة التحديث صوتا متفردا ومتميزا لم تكن كتاباته حتى الشعرية منها ضربا من التجريد أو نوعا من الزخرفة اللفظية كما أشاع خصومه عنه، وكما كدنا نعتقد نحن بعد انقشاع مرحلة الإعجاب الرومانسي، لقد كانت عناوين كتبه وحدها تضعنا في مناخ شاعري تجعلنا نتساءل مندهشين : أي سحر هذا ...** " [1] .

كما يبهرنا الكاتب الكبير مصطفى صادق الرافعي بكلمات غاية في العمق تصف مراحل الحب وتطوره مع مرور الوقت، وحتى عندما يحدث الفراق كيف يعيش كلا الحبيبين في حالة حزن ممزوجة بالحنين، فيلامس ذلك إحساس القارئ ويؤثر فيه .

[1] عمالقة عند مطلع القرن، دار الآداب، لبنان ،1988، ط2، ص 133 .

المبحث الثاني : الرمزية في خواطر الرافعي

في مستهل عصر النهضة قام كثير من الكتاب والشعراء إلى الإتيان بالمواضيع الجديدة دون أيٌ إبداع فسِمُوا بالمجددين في التقليد، ثم ظهر جيل آخر جعلوا للخيال والعواطف الفردية أو المشتركة مع عواطف المجتمع، المكانة الأولي في إنتاجاتهم الأدبية، فأطلق عليهم بالرومانسيين. ثم غلب آخرون علي الجو الشعري ووجدوا الرومانسية تغفل عما تجري في المجتمع العربي من واقع الحياة فلوّنوا أشعارهم وكتاباتهم بالألوان الواقعية واشتهروا بالواقعين وتابعهم آخرون احتلّ الرمز المكانة الأولي في ما يبدعون عرفوا بالرمزيين[1].

1 -مفهوم الرمزية :

في الأصل هي كل اتجاه في الكتابة فيه استعمال الرموز إما بذكر الملموس وإعطائه معنى رمزيا، أو بالتعبير عما هو مجرد من خلال تصورات حسية مرئية كحروف الكتابة، أو اللوحات الفنية مثلا[2].

ويطلق هذا المصطلح على مدرسة شعرية فرنسية ازدهرت في الخمس عشرة سنة الأخيرة من القرن التاسع عشر وذلك بعد موت الشاعر فيكتور هوجو[3]، حيث اجتمع بعض الشعراء البرناسيين، ليحتجوا على النوع الغالب في المدرسة البرناسية، الذي كان يتميز بالنفور من التعبيرات الشخصية، ودعوا إلى شعر يحمل حياة الناس الداخلية ويجعل مما يرونه رمزا للحالات النفسية ، لذلك سموا أنفسهم بالرمزيين[4] .

---

[1] حسن شوندي، الرمزية ومدرستها، شوهد على الموقع :https://www.diwanalarab.com يوم الثلاثاء 2021/06/08 على الساعة 14:00 .

[2] مجدي وهبه وكامل المهندس، المرجع السابق، ص181.

[3] هو أديب وشاعر وروائي فرنسي ،، يُعتَبر من أبرز أدباء فرنسا في الحقبة الرومنسية، وتُرجمت أعماله إلى أغلب اللغات المنطوقة، وهوَ مشهورٌ في فرنسا باعتباره شاعِراً في المقام الأول ثم روائياً .

[4] مجدي وهبه وكامل المهندس، المرجع السابق، ص181 .

2 -خصائص المدرسة الرمزية :

-مجافاة الأسلوب القائم على الوضوح والدقّة والمنطق والتفكير المجرّد والمعالجات الخطابية والمباشرة والشروح والتفصيلات

-اللغة الجديدة : حيث وجد الرمزيون أن معجم اللغة قاصر عن استيعابِ التجربة الشعرية والتعبير عنها بصدق، فبحثوا عن لغة ذات علاقات جديدة تقوم على اللمح والوَمض، وتُتيح للمبدع التعبير عن مكنونات عالمه الداخلي فتثير الأحاسيس الكامنة عند المتلقي وتحرّك القوى التصوريّة والانفعالية عنده لإحداث ما يشبه السيالة المغناطيسية التي تشمل المبدع والمتلقي معا، لذلك دخل الرمزيون في عالم اللاحدود، وتَغَلْغلوا في خفايا النفس وأسرارها ودقائقها .

-لغة الإحساس : يعولُ الرمزيون في صورهم على معطيات الحس بشتى أنواعها كأدوات تعبيرية، مثل: الألوان والأصوات والإحساس اللمسي والحركي ومعطيات الشم والذوق .

وعند الحديث عن الرافعي وأسلوبه فيمكن القول بأن الفن هو الهدف هو الشكل والمضمون معا، واللغة في هذا اللون من البيان ليست اللغة العادية ذات الوظيفة الاجتماعية المحددة ولكنها لغة شعرية فنية تبتعد عن العالم الموضوعي وتتحول من غاية غلى وسيلة، ولكي نكون أكثر إنصافا فقد تحولت اللغة من وسيلة عادية إلى وسيلة فنية راقية يفهمها جميع من يقرأها [1] .

وهذا ما ذهب إليه الرافعي من وراء التبشير والزيادة لمذهب فني جديد في الكتابة النثرية يكون بداية الدعوة الصحيحة إلى الخلق والابتكار فلا يجمح بالكاتب المعاصر على تقليد الماضي[2] .

3 -صور الرمزية في خواطر الرافعي :

مما سبق يتضح بأن الرمزية تتميز بالعديد من الخصائص لعل أبرزها وحدة الموضوع وكذلك الرمز إلى الشخصيات والإشارة لها وتشبيهها، ولعل هذا موجود في كثير مما كتب الرافعي، ذلك ما يظهر

[1] عبد العزيز لمقالح، المرجع السابق ،ص 136 .
[2] المرجع نفسه، ص 137 .

جليا من خلال عناوين خواطره حيث يشير للقمر والورود والرسائل وغيرها، كما يذكر الأساطير والشخصيات القديمة .

وهذه بعض المقتطفات من خواطر الرافعي التي يغلب فيها الطابع الرمزي، حيث يقول في كتاب السحاب الأحمر " **قالت كأنك تذهب غلى القول بأن مثلي مثل العرب بأن مثلي مثل العقرب والحية** " [1]، في إشارة للسم والنهش واللدغ .

كما نجد الرافعي قد ذكر القمر في كثير من المواضع، سواء في خواطره أو في أشعاره، فنجد كتاب حديث القمر الذي تغنى فيه بعظمة وجمال القمر والطبيعة في محاكاة للحياة فنجده يقول " **أيها القمر الذي هو قلب الليل ممتلئا من ابتسام النية الطيبة فلا يزال الليل رحيما حتى بالمجرمين أهل الآثام** " [2] .

تجدر الإشارة إلى أن بعض الخواطر التي يغلب عليها طابع الرمزية يصعب فهمها أو تحليلها وهذا من الخصائص التي يتميز بها الرمزيون ومن أمثلة ذلك قوله " **إنما أنت مني في باب من أبواب الفكر فإياك لا تتسلط عليك حاسة من حواسك، فان لهذه الحواس ضراوة السباع وكلبها والعاطفة تجعل الإنسان أشكل بالملائكة والحاسة تجعله أقرب للشياطين** " [3]، ولا تزال خواطر الرافعي لغاية الآن تدرس وتأخذ منها العبر بالرغم من مرور سنوات عديدة عنها .

[1] محمود صادق الرافعي، السحاب الأحمر، المصدر السابق، ص 63 .
[2] محمود صادق الرافعي، حديث القمر ، المصدر السابق، ص 79 .
[3] محمود صادق الرافعي، رسائل الأحزان، المصدر السابق، ص 61 .

الخاتمة

الخاتمة:

إن الحداثة في الأدب العربي جاءت عن طريق بلغاء عرفهم الأدب بعدما عرفوا حجم اللغة العربية، فهذه اللغة التي تتألف من ملايين المفردات تحتاج لمن يلامس روحها بأنامله فيخط الكلمات الواحدة تلو الأخرى ويضع الحروف في قالبها، بأسلوب لغوي بديع يتعجب كل من يرى ويقرأ، وللعربية رجال رفعوا رايتها وأسسها لبلاغتها ونحوها وصرفها وبديع كلامها، فكتبوا في الشعر والنثر والخواطر وتفننوا في علم البلاغة والنحو والصرف والتفاعيل والبحور الشعرية وغيرها من أبواب اللغة العربية .

ولعل من أبرز نجوم سماء اللغة العربية مصطفى محمود الرافعي، الذي صراحة أتاحت لنا هذه الدراسة باب التعرف على رمز من رموز البلاغة العربية الموزونة، وما يمكننا قوله في خاتمة البحث ونحن نتوغل في بحر لا ينتهي من الخواطر البليغة التي أتحفنا بها الرافعي، وهذه ما علمنا منها ولنا حزن في ما لم نعلم.

ولا يسعنا إلا القول بأن الرافعي هو ذلك الأديب الذي شنَّفَ الأسماعَ بأدبهِ، وأذهلَ القُرَّاء بحسن بيانهِ، مُصْقَع القلمِ، لَبِقُ العملِ، ثَقِفٌ لَقِفٌ، كما وُصِفَ، لا يكلُّ عن الإبداعِ وأخذ المُهجِ، إمام الأدب وحُجَّةُ العربِ كما وصفهُ شكيب أرسلان، وهو الحكمة العالية المصوغة في أجمل قالبٍ من البيان كما وصفه مصطفى كامل باشا، استحقَّ بحقٍ أنْ يكون مِمَّنْ حلَّ جيْد البلاغةِ بقلائد النظم والنثر، وأشاد بالأدب الهادف إلى أعلى الدرجات .

ومن خلال الدراسة والاطلاع على خواطر الرافعي نقول بأن أسلوبه لم ولن يضاهيه أسلوب، فهو بارع في المجال ولا حديث عن المقارنة بينه وبين غيره، بالرغم من وجود صراعات بينه وبين غيره إلا أنه استطاع أن يكسر الحواجز ويحقق مجد العربية .

ففي الوقت الذي كانت الرومانسية في طريق الزوال جاء الرافعي ليحمل على عاتقه جبل الكلمات الضائعة، في قالب الرمزية استطاع أن يلفت الانتباه ويشد المتابع له، ليطرح القارئ تساؤلات عما يقرأ .

ومن عظيم ما أنتج الرافعي، ذلك المنهج الرفيع والفلسفة الحديثة في باب الحب والجمال، فتراه يتغزل مرة، ويشكو في أخرى ويتحسر ويندم كل ذلك في باب واحد، ولعل هذه من خصائص فلسفة الرافعي .

وما يمكن استخلاصه في ختام البحث ما يلي :

-أن فلسفة الرافعي إنتاج فردي لم يشاركه معه أحد .

-المزج في خواطره بين الرمزية والرومانسية .

-محاكاته للجماد ومحاورته له في مناسبات عديدة

-تأثر الرافعي بحب القديم ويمكن لمس ذلك في كثير من الكتابات .

يبقى ما كتب الرافعي بابً لا يسد ولا يرد ولا يفهم في حالات عديدة، وهو من التراث الأدبي النافع، ولا عزاء للأدباء إلا ما لم يصل لهم مما كتب الرافعي .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

الكتب:

1 -المصادر:

- مصطفى صادق الرافعي، أوراق الورد، دار النشر هنداوي.
- مصطفى صادق الرافعي، رسائل الأحزان، .دار الصحوة، القاهرة مصر، ط1 ، 2008.
- مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، ج3،دط، دار الكتاب العربي، ،بيروت، لبنان،دس.
- مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم،ج1، دار ابن كثير، دمشق سوريا، ط2، 2007.

2 -المراجع:

1. أحمد حسن الزيات، وحي الرسالة- فصل في الادب والنقد والاجتماع-، ط 7،مج 1،مطبعة الرسالة، مصر،1962.
2. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، بدون دار نشر، بيروت لبنان، ط 1، 1979 م.
3. خير الدين الزركلي، الأعلام،دط، ج7 ،دار العلم للماليين،بيروت، دس.
4. سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، مصر ،2003، ط8..
5. صلاح الدين المنجد، جمال المرأة عند العرب، دون دار نشر، بيروت لبنان، د، ط،1957.
6. عباس محمود العقاد، هذه الشجرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، د، ط، د، ت المجلد 12.
7. عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه ،دار الفكر العربي، مصر، 2013.
8. عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، القاهرة مصر، ط 8، 1977.
9. عمار علي سليم الخطيب في الأدب الحديث ونقد دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، ط 1، 2009.
10. عمالقة عند مطلع القرن، دار الآداب، لبنان ،1988، ط2.
11. كمال نشأت، مصطفى صادق الرافعي، د ط، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، مصر.
12. مجدي وهبه وكامل المهندس، معجم المصطلحات في اللغة والآداب، مكتبة لبنان ،لبنان، 1984.
13. مجموعة مؤلفين، تداخل الأنواع الأدبية، مؤتمر النقد الدولي الثاني عشر، المجال 1 ،الكاتب العالمي، عمان، الأردن، ط، 1 2009 .

14. محمد الأخضر زبادية، منهج الرافعي النقدي بين القديم والجديد، مجلة الإحياء، ع 2.
15. محمد سعيد العريان، حياة الرافعي، مطبعة الاستقامة، القاهرة مصر، ط8، 1955م.
16. محمد صالح الشنطي، تداخل الأنواع الأدبية في الرواية الأردنية، مج 2 .
17. محمد غنيمي هلال، الرومنتيكية، نهضة مصر للطباعة والنشر، ، مصر، دط، دت. 1962
18. محمود أبو رية، من رسائل الرافعي، دار المعارف، مصر .
19. محمود صادق الرافعي، حديث القمر، دار هنداوي للنشر، مصر .
20. مصطفى الشكعة، الرافعي كاتبا عربيا ومفكرا إسلاميا، عالم الكتب، القاهرة مصر، ط3 ، 1983م.
21. مصطفى نعمان البدري، الامام الرافعي، د ط، مطبعة دار البصري، بغداد، 1928 .
22. مصطفى نعمان البدري، الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد، د ط، دار الجيل، بيروت،دس.
23. نجيب الكلاني، الإسلامُية والمذاهب الأدبُية، مؤسسة الرسالة، بُيروت، ط4،1922.
24. ياسين الأيوبي، مذاهب الأدب: معالم وانعكاسات ، الجزء الثاني: الرمزية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1982 .

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة ..... أ

المدخل: تعريف الخاطرة لغة واصطلاحا .....أ

الفصل الأول : التعريف بالرافعي

المبحث الأول: مولده ونشاته.....8

المبحث الثاني : نشاطه الأدبي والصحفي.....11

المبحث الثالث : وفاته.....14

الفصل الثاني: خواطر الرافعي

المبحث الأول : أوراق الورد 39

المبحث الثاني : حديث القمر.....43

المبحث الثالث : رسائل الأحزان.....48

المبحث الرابع : السحاب الأحمر 55

الفصل الثالث: الاتجاهات الفنية لخواطر الرافعي

المبحث الأول : الرومانسية في خواطر الرافعي.....64

المبحث الثاني : الرمزية في خواطر الرافعي.....70

الخاتمة:.....74

قائمة المصادر والمراجع.....**76**

ملخص:

يتناول البحث فن الخاطرة في أدب الرافعي ، ان ماهية الجمال عند الرافعي هي توظيفه للجمال الحسي بحديثه عن جمال المرأة وجمال الطبيعة والكون توظيفا دقيقا باعتماده على جميع حواسه في الوصف والتصوير في صورة جميلة انبثقت من أعماقه خدمة للفكرة التي يريد إيصالها. ومفهوم الجمال المعنوي بين الحب والجمال، والرّوح والطّبيعة متجليا موقف االرافعي الفكري، إذ يرى أن الحب يوصلنا إلى الله عز وجل، وهذا الحب من شأنه تطهير النفس فيتحول بذلك إلى أعلى مراتب الإحسان، ودراسة أسلوب الرافعي من حيث اللّغة المتينة والأفكار الجديدة والخيال العميق والعاطفة الجياشة، إضافة إلى تحليل الصور البلاغيّة المنتقاة من " أوراق الورد /حديث القمر/رسائل الأحزان/السحاب الأحمر."

الكلمات المفتاحية: الجمال – البيان – الرافعي –الخاطرة – الاتجاهات الفنية

Résumé:

La recherche porte sur l'art de la pensée dans la littérature d'Al-Rafei, que la nature de la beauté selon Al-Rafei est son utilisation de la beauté sensuelle en parlant de la beauté de la nature, de la beauté et de l'univers d'une manière précise par s'appuyant sur tous ses sens pour décrire et photographier dans une belle image qui a émergé de ses profondeurs afin de servir l'idée que vous souhaitez communiquer. Le concept de beauté morale, de beauté, d'esprit et de miséricorde se manifeste dans la position intellectuelle d'Al-Rafa'i, car il voit que ce regard nous conduit à Dieu Tout-Puissant. Sélectionné dans « Leaf Roses / Moon Talks / Letters of Sorrows / Red Clouds ."

Mots-clés : beauté - la déclaration - Al-Rafi'i - la pensée - les tendances artistiques

The research deals with the art of thought in the literature of Al-Rafi'i, that the nature of beauty according to Al-Rafei is his use of sensual beauty by speaking about the beauty of women, the beauty of nature and the universe, by relying on all his senses in describing and photographing in a beautiful image that emerged from his depths in service of the idea that he wanted to communicate. And the concept of moral beauty between love and beauty, and the soul and nature, manifested by Al-Rafi'i's intellectual position, as he sees that love leads us to God Almighty, and this love will purify the soul, thus transforming it to the highest levels of feeling, and studying the method of Al-Rafi'i in terms of solid language, new ideas, deep imagination and passionate emotion. In addition to analyzing the rhetorical images selected from rose leaves, moon talk, letters of sorrow, red clouds.

Keywords: beauty, Al-Bayan, Al-Rafi'i, Al-Khatrah, artistic trends.